الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي
تخصص أدب مقارن وعالمي

تأثير الإسلام على الآداب الأوروبية "لوتولستوي أنموذجا"

إعداد الطالبتان:
- تيطاوين مباركة
- يحي شريف زوبيدة

إشراف الأستاذة:
مسعودي فاطمة الزهراء

السنة الجامعية: 2019-2020

الحمد لله على ما أجزل علينا من عظيم فضله وأنار لنا درب العلوم والمعرفة، وأعاننا على أداء هذا الواجب وفقنا في إنجاز هذا العمل، ونخص بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في درب عملي وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربينا.

أشكر جزيل الشكر والعرفان للدكتورة مسعودي التي رفعت من معنوياتنا وإشرافت على هذا البحث جزاها الله خيرا.

إلى المكتبة العمومية مولاي بلحميسي.

نحمد الله تعالى الذي قدرنا على شرب جرعة ماء من هذا العلم الواسع، فالعلم لا يتم إلاّ بالعمل، أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى الذين قال شأنهما سبحانه وتعالى:

"**وَقُلْ رَّبِّ اِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**" الإسراء 24.

إلى التي ضحت بحياتها تنادي بحياتي، إلى التي غمرتني دفئا وفتحت لي باب من الأمل أمي الحنون.

إلى الذي شد بي السلم لكي أصعد، وكان لي نعم الحصن في هذه الحياة وكتاب التوجهات أبي الغالي والعزيز رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه الفردوس الأعلى إن شاء الله.

إلى باعث الأمل أخي المثالي والوحيد جمال وزوجته خيرة وأولاده لؤي، زينو، فارس.

إلى أختي الوحيدة التي مثابة أمي الثانية فاطمة وزوجها محمد وصغارهما: يونس، ريتاج.

إلى عائلة يحي شريف كافة وعائلة حمدي خاصة وأخص بالذر كل فرد ينتمي إلى هذه العائلة، كزهرة، زوجي المستقبلي عبد الرحمان، وصديقي المفضل جمال ...الخ.

إلى الصديقتان الوفيتان: يعقوبي محجوبة ورحموني وهيبة.

إلى زميلتي في هذا البحث تيطاوين مباركة حنان.

إلى الأستاذة المشرفة مسعودي.

إلى الفريق التربوي للمدرسة "بوعافيا حاج" وعلى رأسه الأخ المدير خالدي الحاج.

إلى المفتش التربوي "مكتار تواتي".

إلى الفريق التربوي للمدرسة عجيسة.

إلى كل من علمني حرفا في مختلف الأطوار التعليمية.

إلى كل من أعرفهم من قريب أو من بعيد.

إلى كل من نسيت ذكر اسمه سهوا، أهديه عملي هذا.

والحمد لله ختاما والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يحي شريف زوبيدة

بسم الله الرحمان الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

إلى من رجع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب

إلى من كلت أنامله ليقدم لي لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير والدي العزيز عبد القادر رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

إلى من أرضعتني الحب والحنان

إلى رمز الحب وبلس الشفاء

إلى القلب الناصع بالبياض والدتي الحبيبة الحنونة **مباركة** أسأل الله أن يرحمها ويسكنها فسيح جناته

إلى كل القلوب الطاهرة الرقيقة التي تزهو بهم الدنيا مخطار، طيب، قادة وأختي ليلي، إلى آسيا، نعيمة،

إلى الكتكوتين يعقوب وشيماء

إلى رفيقاتي العزيزات مكية، أحلام، حليمة.

إلى الدكتورة المؤطرة مسعودي التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث جزاها الله

إلى زميلاتي التي رفقني في هذا البحث يحي شريف زوبيدة

وإلى كل الأحباب والأصدقاء من قريب أو بعيد

إلى كل من يحب الخير السلام العلم التطور

تيطاوين مباركة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد:

شكلت العلاقات الثقافية الفكرية بين الشرق والغرب إحدى أهم القضايا جلال في الساحة الثقافية متمثلة في ظاهرة الاستشراق التي صارت أمرا مهما للمفكرين العرب والمسلمين باعتبارها جزءا لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب، إذ أثرت بشكل كبير في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام من ناحية، وفي تحفيز الوعي العربي الإسلامي وإعادة تحريضه والتعرف إلى ذاته الثقافية والفكرية، والتمسك بهويته، من ناحية أخرى.

ولئن كان الاستشراق في مراحله الأولى ذو طابع علمي فإنه أصبح في مراحله الأخيرة موسوما بغايات أخرى تحمل في طياتها نوعا من التشكيك في مصداقياتها، ما جعل الحركة الاستشراقية الغربية تشهد جملة من ردت الفعل المقابلة من طرف المفكرين والأكادمين العرب، تحمل طابعا نقديا يهدف إلى الكشف عن مرامي ومقاصد الفعل الاستشراقي.

الاستشراق حقل معرفي قديم، أذكاه علما كثيرون من الغرب، الذين اهتموا بدراسة الشرق، وأهم ما في الشرق، الإسلام، بمصادره القرآن والسنة، ورسوله صلى الله عليه وسلم ولغته وكل ما يتعلق به من واقع ومتخيل، وقد بلغ ما أنتجه المستشرقون في أقل من قرنين من الزمن 260مصنف، بين كتاب ودورية.

كان الاستشراق في نشأته في أوروبا – وقد أصبح الآن أمريكيا – مرتبطا بالحروب الصليبية وحملات التبشير، ودوائر صنع القرار للاستعمار، وغزو دول الشرق.

لقد ظل الاستشراق عبر مراحل تاريخه الطويل محملا بجروح عميقة ودامية، الأمر الذي أدى بالكثير من الباحثين إلى التعامل معه تعاملا حذرا ويقظا وأحيانا مخيفا، وفسر الباحثون أنفسهم أسباب هذا التعامل مرجعين إياها إلى تلك المسيرة منذ نشأته الأولى والتي كانت سببا رئيسيا في اكتسابه وظائف عنصرية واستعمارية بامتياز.

ولد الاستشراق وترعرع في أرض فكرية وثقافية تفتقد إلى التأسيس العلمي الموضوعي النزيه والشريف، ومن هذا المنطلق بات الإنتاج الاستشراقي شرا على المجتمع الإسلامي.

فالاستشراق هو على حد قول أحد الرموز البارزة في المشهد النقدي الاستشراقي الأستاذ إدوارد سعيد "فهو أسلوب من الفكر القائم على تميز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب" وهو أيضا "أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه".

كذلك للكاتب الروسي "تول ستوي" أقوال وآراء تثبت مدى تأثره بالإسلام.

ومن هذا المنطلق بدر إلى ذهننا موضوع هام ألا وهو تأثير الإسلام في الدول الأوروبية وقد قسمنا بحثنا هذا إلى:

مدخل الموضوع: والذي تناولت فيه صورة الإسلام.

الفصل الأول: تناولنا فيه الاستشراق وقسمناه إلى أربعة مباحث انطلاقا من تحديد مصطلح الاستشراق لغة واصطلاحا وأهم مراحله مع ذكر الدوافع التي كانت سبب في ظهوره، بالإضافة إلى مدارس الاستشراق، وفي الأخير ذكرنا أهم المستشرقين.

الفصل الثاني: ميادين التأثير الإسلامي على أوروبا:

وكان هذا الموضوع دراستنا وبحثنا وقد قمنا بتقسيميه إلى ثلاثة مباحث، الأولا: العلوم العقلية، ثانيا: علوم الحساب والطبيعيات، وأخيرا: العلوم النقلية.

الفصل الثالث: عبارة عن نموذج تطبيقي حول الكاتب الروسي تولوستوي ومدى تأثره بالإسلام.

إذا كان الشكر الأول من العصور الوسطى بين نهاية القرن الخامس ونهاية القرن العاشر للميلاد قد أطلق عليه في الكتابات الأوروبية اسم "العصور المظلمة المضللة" فإن نفس الفترة تمثل عصور النور والإزدهار في العالم الإسلامي مشرقة ومعربة.

- ففي الوقت الذي سقطت الإمبراطورية الرومانية في رب أوروبا، اندفعت عناصر البرابرة من الجرمان إلى داخل أراضي العالم الروماني تدمر وتخرب، وانطفأت شعلة الحضارة القديمة فذبلت المدن، وأغلقت المدارس أبوابها وبرز رجال الدين من الكنسيين، والذين والديرين ليدمروا كل ما يمت للتراث الوثني بصلة، فنبذوا مؤلفات الكتابات رجال الفكر الوثنيين، ورفضوا الأخذ بها في كتبهم العلمية والعلوم التجريبية والعقلية، وفرضوا على رعايا الكنيسة الالتزام بدائرة ضعيفة من اللاهوت وأقوال القديس ويسرهم وحرموا عليهم كثيرا متع الحياة .....

- في ذلك الوقت "بذهر" بذات ظهور الإسلام في أوائل القرن السابع للميلاد ليقترن مولده وانتشاره الأعظم حضارة عرفها العالم أجمع طوال العصور الوسطى، حضارة مختلفة في رحابها كافة العناصر النافعة من الحضارات السابقة عليها والمعاصرة لها، فانتقت من تلك العناصر ما لا يتعارض مع روحها وقيمها وأصلحت ما يتطلب الإصلاح والتعديل ونبذت من تلك العناصر ما لا يتعارض مع روحها وقيمها وأصلحت ما يتطلب الإصلاح والتعديل ونبذت ما عدا ذلك من مساوئ وانحرافات ما يقرها الدين والعقل.
- تم إن التأثير الإسلامي وحضارته لن يتوقف حد الإفادة من الغير، وإنما أسهم عن طريق الخلق والإبداع والإبتكار والتطور في عدة مجالات: الأدب والفن والطب والهندسة....وبناء على الحضارة الإسلامية فتوصل علماؤها إلى ما لم يتوصل إليه غيرهم من عناصر حضارية جديدة أترث الحضارة الإنسانية على مر العصور والآجيال[1].

تعريف الاستشراق : لقد مر المفهوم العلمي لكلمتي "الإستشراق" و"المشتشرق" بأدوار مختلفة منذ عام 1683م عندما كان "يطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية"[2].

إن كلمتي "المشتشرق" و"الإستشراق" علمياّ حديثتا العهد في الإنجليزية والفرنسية[3]، وأول ما ظهر مصطلح "مستشرق" – وهو الأسبق بالنسبة لمصطلح "استشراق –كان في أوروبا، "ليطلق كوصف ثقافي وعلمي حديث على مختصين أوروبيين في ثقافة لشرق ولغاته وتراثه وحضاراته"[4]. وأول ظهور له كان في إنجلترا قبل غيرها سنة 1779م ثم بعد ذلك بعشرين عاما ظهر المصطلح في فرنسا سنة 1799م ليعم بعد ذلك مختلف الحواضر

---

[1] دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، د. سعد عبد الفتاح عاشور، د. سعد زغلول عبد الحميد، د. أحمد مختار العبادي، الطبعة الثانية، منشورات دار السلاسل، كويت، 1426هـ-1986م، ص109.

[2] فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش، ص25.

[3] المرجع نفسه، 26.

[4] الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن إبراهيم، دار المنابع، دط، 2004م، ص18.

في الدول الأوروبية"[5]. أما كلمة "استشراق" فكان ظهورها متأخرا نسبيا وعرفتها "اللغة الإنجليزية قبل غيرها سنة 1811م ثم عرفتها اللغة الفرنسية عام 1830م"[6]، وبعد ذلك بقليل جاء الاعتراف بهما داخل الأكاديمية الفرنسية "المشهورة بالحيطة في إدخال الكلمات الجديدة إلى اللغة الفرنسية فأدخلتهما إلى معجمها الشهرير عام 1938م"[7]. ومن المعاجم الغربية الحديثة انتقل المصطلحات إلى المعاجم اللغوية العربية الحديثة والمعاصرة – إذ من المعلوم أن لفظة استشراق التي نبحث عن مفهومها اللغوي "لم ترد في المعاجم العربية المختلفة"[8]. ونحن هنا نقصد المعاجم العربية التراثية القديمة في معظمها.

أ- **لغة**: جاء في "لسان العرب": شرق: شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقا :طلعت .واسم الموضع المشرق، والشرق :المشرق والجمع أشراق.

والتشريق: الأخذ في ناحية الشرق..وشرقوا :ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق"[9].كذلك تقريبا نجد في القاموس المحيط ":الشرق :الشمس...وإسفارها، وحيث تشرق الشمس..وشرقت الشمس شرقا وشروقا :طلعت. والتشريق : الجمال، وإشراق الوجه،والأخذ في ناحية الشرق [10]". هذا في ما يخص المعاجم العربية القديمة التي خلت من اللفظة المراد البحث عنها – أي الاستشراق -حيث هي غير معروفة آنذاك وأقرب لفظة للمعنى المراد هي كلمة " استعراب "و" مستعرب "والتي تعني دخول غير العرب في لغة العرب وآثارهم وتقاليدهم وتمكنهم منها تمكنا متفاوتا[11].

أما حين نستقصي المعاجم العربية الحديثة فإننا نجد لفظة" الاستشراق "في جلّها، ففي المنهل نجد تحديدا جميلا للمفاهيم على النمط الآتي" :جاءت لفظتا شرق ومستشرق لوصف أهل الشرق " Orientaliste" و " Orientمقابلتان للفظة الفرنسية لو صف كل . "Orientalisant" هو الشرقي والمشرقي Orientalأوالشرقيين .والتي لها أيضا معنى Orientalisme متأثر بالشرق .أما الاستشراق فيعبر عنها

---

[5] المرجع نفسه، ص18.

[6] المرجع نفسه، ص18.

[7] فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش، ص26.

[8] فاسقة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش، ص21.

[9] لسان العرب، إبن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، المجلد العاشر، 1410، 1هـ/1990م، باب حرف القاف، مادة "شرق".

[10] القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، دار إحياء التراث العربي/ مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط.1410، 1هـ/1997م، مادة شرق.

[11] ينظر مادة "عرب" في "لسان العرب" لإبن منظور، و"القاموس المحيط" للفيروزا آبادي.

بلفظة التي لها أيضا معنىOrientalisme حب الأشياء الشرقية والمستشرق أو العالم باللغات والآداب الشرقية هو"Orientaliste"[12].

أما في " المنجد في اللغة العربية المعاصرة " فلفظة شرق تعني :شرق :نقطة أو جهة الأفق التي تطلع منها الشمس على مدار السنة .الشرق :البلدان أو المناطق الواقعة في الشرق، جهة طلوع الشمس .وتشرق :صار مستشرقا، تشرق أوروبي .إستشرق :صار مستشرقا.اهتم بالدراسات الشرقية،" إستشراق فرنسي."

- إستشراق :اتجاه الغربيين نحو الاهتمام بتراث الشرق وحضاراته ولغاته .مستشرق والجمع
- مستشرقون :أديب غربي يهتم بدرس تراث الشرق وحضاراته ولغاته[13]."

و لا تخرج الدلالة اللفظية لكلمتي" مستشرق "و" استشراق "في المعاجم العربية الحديثة عن تلك الموجودة والمتعارف عليها في أمهات المعاجم الغربية، الفرنسية منها خاصة -وهي التي تهمنا في هذا البحث.

1- **قاموس Le robert**: شرق: المنطقة التي تشرق الشمس منها. شرقي متمركز في الشرق ... شخص أصله من الشرق.

مستشرق: استخدام كإسم منذ سنة (1799م) ... لتمييز الخبير في اللغات والحضارات الشرقية. استشراق: علم الأشياء الشرقية (1840م)، تذوق الأشياء الشرقية (1846) [14].

2- **قاموس Le littré**: شرق: النقطة من الفضاء حيث تشرق الشمس عند الأفق ... شرقي: من جهة الشرق: ينتسب للشرق. استشراق: مجموع المعارف والأفكار الفلسفية الخاصة بالشعوب الشرقية. مستشرق :المهتم بالمعارف اللغات الشرقية. عالم استشراقي [15].

3- **القاموس الموسعي auzou**:

شرقي: من الشرق، من الشرق كهوية ثقافية أو سياسية. إستشراق: الاهتمام بكل ما يأتي من الشرق. مستشرق: شخص مهتم بالإستشراق، أو يدعيه[16].

4- قاموس Le petit larousse:

---

[12] المنهل: قاموس فرنسي – عربي، د. سهيل إدريس، دار الكتاب، دط، 2004م، ص851/850.

[13] المنجدي اللغة العربية المعاصرة، دار الشرق، ط2003. م2م، باب حرف الشين، ص765.

[14]« Le Robert » dictionnaire historique de la langue Française, Paris, Octolire, 1992, P. 1382/1383.

[15]« Le Littre » dictionnaire de la langue Française. Hachete, 2001, p.1130.

[16] « Auzou » dictionnaire encyclopédique, 2005, P. 1181.

شرقي:ما يوجد في الشرق،في المشرق،شخص ينتمي للحضارة الشرقية...لأحد البلدان الشرقية.استشراق:مجموع العلوم التي تتخذ موضوعا الحضارات الشرقية.تذوق الأشياء الشرقية.مستشرق:الذي له علاقة بالاستشراق،المختص في الحضارات الشرقية[17].

ب – اصطلاحا:

إن الباحث عن تعريف محدد للإستشراق سيجد نفسه أمام سيل من التعريفات التي دبجت حوله والتي لا تنتهي " ومن أجل هذا فإن إعطاء تعريف للإستشراق هو ضرب من المحال، وكل تعريف نجهد أنفسنا لإعطائه لا يكون شاملا جامعا مانعا"[18]. ورغم اقتناعنا بهذه الفكرة، إلا أن هذا لا يمنعنا من سوق بعض التعريفات التي قد توضح لنا أكثر ماهية الموضوع، ولزيادة المنفعة لن نكتفي بآراء العلماء والباحثين العرب، حيث نورد بعض التعريفات التي دبجها علماء غربيون من المستشرقين وغيرهم.

يقول رودي بارت.." :الإستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي[19]". ويصفه جويدي في معرض حديثه عن فحوى الإستشراق وأهدافه بأنه التعمق"..في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها"، [20] وغير بعيد عن هذا يرى ديتريش أن المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سلمية في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق"[21].

أما في الجانب العربي -أو الشرق -فقد تحددت التعريفات الخاصة بالإستشراق دون أن تبتعد كثيرا عن المعاني السابقة، فهذا أحمد حسن الزيات يرى أن الإستشراق اليوم هو "دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره "[22] وعند اسمايلوفيتش فهو التبحر في لغات الشرق وآدابه[23].

أما ادوارد سعيد فيرى أن" الإستشراق أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق (وفي معظم الأحيان) الغرب "[24] وهو -أي الإستشراق " -الدراسة المتقصية المتنوعة المتعددة الأغراض التي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق والتعرف إلى كنوزه الحضارية، وعاداته وتقاليده وحضارته وديانته وكل منحى من مناحي

---

[17] Le petit larouse (grand format), larousse,2005, p.763.

[18] نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي. يناير، 2002، ط1، ج17/1.

[19] نقلا عن "فلسفة الإستشراق"، أحمد سمايلوفيتش، ص23.

[20] المرجع نفسه، ص24.

[21] المرجع نفسه، ص25.

[22] تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات دار المعرفة، ط4، 1418هـ/1997م، ص378.

[23] فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش، ص23.

[24] الإستشراق، إدوارد سعيد ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة العربية السادسة، ص189.

حياته، مهما كان الغرض الدافع إلى هذه الدراسة سواءا كانت لأهداف دينية أو عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية "[25] وهي جلها آراء كما نرى تعبر عن معنى متقارب.

لكننا قد نجد بعض التعريفات التي قد تعبر بطريقة فريدة عن أيديولوجية معينة وهو الحال عند ادوارد سعيد في" الإستشراق "حيث نراه يقول" :إن الإستشراق يمكن أن يناقش ويحلل بوصفه المؤسسة المتشركة للتعامل مع الشرق ،التعامل معه بإصدار تقريرات حوله، وإجازة الآراء فيه، وإقرارها، بوصفه وتدريسه والاستقرار فيه، وحكمه، وبإيجاز الإستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه "[26]، وهذه الفكرة تكاد تكون لبّ عمل ادوارد سعيد وأساس كتابه الآنف الذكر، وهي فكرة فريدة لا يشاطره الرأي فيها أغلب الباحثين و إن شاطروه فيها فبتحفظ.

وحتى إذا سلمنا أن الإستشراق هو التخصص في فروع المعرفة المتصلة بالشرق وهو المفهوم الأكاديمي المتعارف عليه، فإنه قد انحسر في الوقت الحاضر، فليس كل دارس لإحدى الثقافات الشرقية يمكننا أن نطلق عليه اسم مستشرق.ورغم أنه لا يوجد هناك مفهوم محدد متفق عليه هو الإستشراق ومجالاته والحقول التي يعالجها،إلا أنه يمكننا أن نقول إن الإستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه.

إن الباحث عن فهم أي ظاهرة و عن سبر أغوارها والوصول إلى أسرارها لا بد له من معرفة جادة بتاريخها وظروف وجودها التاريخي، فيحاول إضاءة ما يمكن من الحركية التاريخية للظاهرة ومدى وسعها وانتشارها واستمراريتها إن كان لها ذلك بالطبع، فمن خلال هذا العمل الأولي يهيئ الباحث الأرضية المعرفية التي ستكون أساسا للعمل كله .ومنه فإننا -ونحن نتعرض للإستشراق كموضوع للدراسة -ملزمون بتهيئة هذه الأرضية وبسطها شيئا فشيئا أمام المتلقي حتى نضمن الحد الأدنى من الترابط بين أجزاء العمل، وكذلك تمتين الصلة مع ذهن المتلقي.

هذه الأرضية وبسطها شيئا فشيئا أمام المتلقي حتى نضمن الحد الأدنى من الترابط بين أجزاء العمل، وكذلك تمتين الصلة مع ذهن المتلقي.

للإستشراق تاريخا معتبرا، ليس بالمعطى الزمني فقط، بل حتى بالنظر إلى ما تحقق منه على أرض الواقع، ومدى عمق التأثيرات التي سايرت وجوده واستمراريته، وصولا إلى الآثار المهمة والخطيرة أحيانا التي كانت نتاجا مباشرا أو غير مباشر له .ونظرا لكل هدا فإن توطئة لجوانب الموضوع من حيث أسس وجوده وملابساته، أسبابه وأهدافه، ووسائله أيضا، وصولا إلى تطوره وأهم مراحله التي مر بها حتى عصرنا الحاضر، تصبح أكثر من ضرورية.

---

25 نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، ص21/20.

26 الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء .إدوارد سعيد. ص17

إنه لمن العسير جدا تحديد النشأة التاريخية للإستشراق بسنة معينة، ويأتي العسر من كثرة اختلاف الباحثين في هده النقطة، خاصة فيما تعلق بماهية الإستشراق والمعنى الحقيقي لكلمة" مستشرق"،ولولا هذا لما وجدنا أشخاصا يحملوا نشأة الاستشراق إلى عصور سحيقة مثل أول لقاء بين الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – ونصارى نجران، أو إلى بعد ذلك بقليل حين إرساله –صلى الله عليه وسلم –سفراء إلى ملوك العالم آنذاك[27]. وإن كنا لا نتفق مع معظم هده الآراء، فإننا يجب أن نعترف أن الهبة التي أحدثها ظهور الإسلام في الجزيرة العربية وسرعة انتشاره وتعاظم قوته ونفوذه في ما كان إلى أمد قريب يمثل منطقة امتداد لحكم الروم أو الفرس، هذه الهبة وهذه الثورة التي سارت بسرعة خارقة لكل مألوف شكلت صدمة عظيمة للعالم الغربي الذي أمسى بعد مدة وجيزة مهددا بدوره من قبلها،إذ كيف يعقل أن شرذمة من القبائل المتناحرة المتفرقة هنا وهناك في صحراء شبه الجزيرة العربية، تتوحد وتأخذ على عاتقها تأسيس دولة سياسية وعسكرية سوف بعد حين تبدأ شيئا فشيئا في الاستيلاء على الجزيرة ومنازعة إمبراطوريات عتيقة وحضارات هي من هي في ذلك الزمن، فلا تمر مائة عام منذ بدء الدعوة الإسلامية حتى أصبحت الدولة الوليدة تمتد من المحيط إلى الخليج، ولها من الأتباع الملاين التي تزداد يوما بعد يوم[28]، فتسلب الديانة المسيحية التي لها من السبق في الوجود أزيد من سبعة قرون من الزمن، تسلبها مناطق نفوذها، بل حتى الآلاف ومئات الآلاف من المخلصين الذين تحولوا إلى الإسلام. وبالنظر إلى فداحة الأمر وعظمته لم يكن بالإمكان لأوروبا الوقوف مكتوفة الأيدي دون ردة فعل تخول لها الوقوف ندا لند أمام هذه الحضارة الوليدة، وإن كان الأمر في مبدئه قد اتسم بالمراقبة والملاحظة، حتى إذا اقترب الخطر المادي ممثلا في حملات المسلمين التي وصلت للجزيرة الخضراء – اسبانيا– فجاهدت وقاتلت حتى تم لها الأمر هناك، إضافة إلى الحملات الأخرى التي مست أطراف أوروبا ونخص بالذكر هنا الغارات والمعارك التي شنها الجند المسلم بقيادة عبد الرحمن الغافقي على المناطق الفرنسية قبل توقفها لبرهة في معركة بواتييه .أو بلاط الشهداء، نقول أنه لما أصبح الخطر ماديا ماثلا أمام الأعين أصبح من غير المكن الوقوف بلا حراك .ضمن هدا المناخ بالذات، بدأت الإرهاصات الأولى للإستشراق لكن هذه الظروف السائدة آنذاك لم تكن الأسباب الوحيدة لظهور الإستشراق إذ لا يمكن إغفال مدى تأثير التعاليم الإسلامية وكذا التطور الذي وصلت إليه المدنية الإسلامية في شتى المجلات خاصة الفكرية منها وصولا إلى العلوم اليدوية والتقنية والرياضية كالفلك والطب والعلوم الأخرى التي جعلت من مدن كبغداد ودمشق وقرطبة حواضر للعلم والثقافة والأنوار في ذلك الزمان عبر المعمورة كلها.

---

27 نشأة الاستشراق–د.مازن مطبقاني، موقع مركز المدينة المنورة للأبحاث والدراسات الاستشراقية WWW.madinacenter.com

28 ينظر: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمدا اسمايلوفيتش، ص15.

كل هذا ما كان ليمر دون أن تصل أخباره إلى مختلف الأصقاع خاصة الأوروبية منها والتي كانت متعطشة للعلم والأنوار وبالتالي التحرر من نير ظلام العصور الوسطى.

وللتوسع قليلا في الموضوع، نرى أنه من الضروري الكلام عن أهم الدوافع التي أملت وجود الإستشراق واستمراره .بعض الباحثين يراها أهدافا، والبعض الآخر يعرفها على أنها دوافع، وبعيدا عن هذا عن هذا وذاك، نقول أنها الاثنان معا، فاهتمام الغرب بالشرق منذ بدايته حتى الآن لم يفقد شيئا من حماسته وقوته، وهذا لم يأتي من فراغ أبدا، بل وجهته دوافع ونوازع متعددة سنحاول اختصارها في التالي:

2–دوافع الاستشراق:

أ –الدوافع الدينية:

يتفق كثير من الباحثين، خاصة العرب المسلمين منهم على أن النشأة الأولى للإستشراق كانت في أحضان الكنيسة، والأمر ليس صعبا على التقبل إذا علمنا واقتنعنا أنه وللقيام بمهمة دراسة الدين والثقافة الإسلامية الناشئة أنذاك، كان لابد من نخبة مثقفة تعي مسؤولياتها وطبيعة العمل المنوطاتها وبالنظر إلى الأحوال في أوروبا أنذاك فإن" رجال الدين – "ومرجعهم الفاتيكان يومئذ – كانوا يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوروبا ". [29] فلم يكن من الممكن لأحد أن يتسلم زمام هذه المهمة مكان رجال الدين، نظرا لمستواهم العلمي من جهة، ومن جهة ثانية نظرا إلى أنهم يتمتعون بميزة الولاء التام للمسيحية وللكنيسة، وهم بذلك محصنون –نوعا ما –ضد جاذبية الإسلام دون أن ننسى قدرة العصبية الدينية التي كانوا مشحونين بها على مقاومة أي إغراء عقدي آخر.

لقد اهتم المستشرقون الأوائل" بالتشكيل الثقافي للأمة المسلمة "[30] وبمعرفة مختلف جوانب حياتها الفكرية والعقدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية،وكشف دقائق الأمور في تكوينها .ونحن إذ نتحدث عن الدافع الديني، نشير أيضا إلى حب الإطلاع وحب معرفة الحقيقة والفضول الذي يتملك الإنسان العاقل ويدفعه دفعا إلى الأمام.

وليس أدل على ذلك من وجود عدد معتبر من هؤلاء الطلبة الأوروبيين الذين مثلوا طلائع المستشرقين قد اعتنق الإسلام عقيدة وفلسفة حياة خاصة وهم يعيشون واقعا يتسم بتسامح لم يكونوا يحلمون به في أوطانهم، أضف إلى ذلك سمو رسالة الدين الإسلامي ورفعة مبادئه، والعدالة التي مثلت روح وأساس الملك الإسلامي في مراحل عزته وعنفوانه .و في الجهة المقابلة نجد أن الكنيسة ولمواجهة هذا الزحف الإسلامي الهائل الذي بات يهدد وجودها في مهدها وقواعدها التاريخية، آثرت أن تعد مجموعة من الدارسين الذين يتقنون اللغة العربية ونهلوا من العلوم العربية خاصة في ميادين الفكر وطرق الجدل والمناظرة التي كانت سوقها نافقة آنذاك، فيتيح لهم ذلك

---

29 نظر المستشرقون، نجيب العقيقي. دار المعارف .ط4 . 1980. ج1 /104.

30 المرجع السابق، ص104.

مواجهة الإسلام بالحجج والبراهين والجدل العقلي من جهة، ومن جانب آخر محاولة القيام " بالتبشير المضاد بالمسيحية في البلاد الإسلامية نفسها واستعادة ما يمكن استعادته ".[31] دون أن ننسى التحصين الدفاعي الذي لجأت إليه الكنيسة في بلدان أوروبا وأقطارها قصد تشويه صورة الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم –ونقل معلومات خاطئة جدا أو مقلوبة تماما عن المسلمين حتى لا تخترق الجبهة المسيحية الداخلية، وهو ما دفعهم شيئا فسيئا إلى تغذية مشاعر الخوف والرهبة من المسلمين في آن واحد مع مشاعر السخط عليهم والكراهية الشديدة لهم.

من أهم الوسائل التي اصطنعها الفاتيكان لهذه المهمة نجد":تعلم العربية –ثم اليونانية واللغات الشرقية –في مدارس اسبانيا وتعليمها في مدارس أديارها وكاتدارئياتها وكراسي جامعاتها..كجامعات :بولونيا (1067)م (وتولوز1217)م (ومونبيلييه1220)م ... (وروما 1248) م (وفلورنسا 1303)[32]م 75 ".(ومنه نرى أن الدافع الديني(بكل ما فيه من اندفاع وقوة كان إحدى" الأسباب الرئيسية لاتجاه الغرب المسيحي – للغات الشرقية عامة ولغة الإسلام خاصة.وأخيرا لابد من الإشارة إلى أنه ورغم أن الدوافع الدينية قد حملت في طياتها غايات متعددة، ومختلفة، إلا أن الغالب عليها والمميز فيها هو مواجهة الإسلام ومحاربته ومحاولة تقويض سلطانه ونفوذه وكذا حماية المجتمع المسيحي من خطره.

ب –**الدوافع العلمية** :وهي من الدوافع بالغة الأهمية، إذ أن الحالة المتردية لأوروبا القرون الوسطى لم تكن لترضي طموح شعوبها وخاصة المتنورين المتفتحين منهم والذين رأوا أنه لا بد من الأخذ بأسباب الحضارة والرقي للخروج من ظلام تلك الفترة .ورأوا أنه " لا سبيل لهم لإرساء نهضتها –أي أوروبا –إلا على أساس من التراث الإنساني الذي تمثلته الثقافة العربية[33]."فقد كان التطور والتقدم الذي حققته المدنية الإسلامية خاصة في أزهى عصورها صاعقا ومثل النموذج الواجب الاحتذاء به، والعالم العربي " يعد كترا حضاريا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، ففيه شيدت حضارات وثقافات، ونشأت لغات وفلسفات، وولدت علوم وفنون "..[34]وعلاوة على هذا وذاك فقد مثلت الحضارة الإسلامية حلقة الوصل التاريخية بين الماضي والمستقبل، حيث كما هو معلوم لم يقم العلماء والمفكرون والفلاسفة المسلمون بإقصاء أي من الثقافات الأخرى السابقة عليهم أو المزامنة لهم، فأخذوا من هذه ومن تلك وترجموا ثم عمدوا إلى الاحتفاظ بما يناسب ثقافتهم ومقوماتهم، فدرسوه وحققوه ثم زادوا عليه وطوروه، أي أنها – " أي الحضارة الإسلامية –قد حفظت تراثا إنسانيا هائلا من الزوال ونمته وطورته بصورة أو بأخرى وما كان لكل هدا الصيت الذي اكتسبته أن يمر مرور الكرام على باقي الأصقاع المتاخمة .وقد أثارت كل هذه القيم

---

31 المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، ص17.

32 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش، ص49.

33 المستشرقون، نجيب العقيقي، ص104.

34 فلسفة الاستشراق وأثراها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش، ص51.

والمنجزات " اهتمام علماء الغرب فاهتموا بدراستها واكتشاف أسرارها"[35]، فشدوا الرحال إلى حواضر العلم المعروفة آنذاك في العالم العربي مثل بغداد والشام وبلاد الأندلس التي كانت ولا ريب من أهم محطات استقبالهم، نظرا للقرب الجغرافي وكذا عموم التسامح الذي تمتعت بع هده البيئة عن غيرها، وقد كانت فائدة أوروبا من هذه البعثات عظيمة و "لا تقدر، حيث أصبح أفرادها بعد عودتهم من الأندلس شعلة علمية تضيء غياهب أوطانها ...وأخذت تنشر العلوم والفلسفات والآداب والحقائق فدفعت بشعوبها خطوات جبارة لا يمكن التغاضي عنها عند النظر في تطور العلم في العالم"[36].وخلاصة الأمر أن طلب العلم الذي كانت البلاد العربية والإسلامية موئلا له كان أحد أهم دوافع الإستشراق، والحقيقة الخالدة التي يجب تذكرها دائما دون مغالاة ولا مبالغة وإنما إنصافا للحق والتاريخ، هي أن المدنية الأوروبية الحديثة والعالمية أيضا تدين بكثير الكثير للحضارة الإسلامية، هذا إن لم نقل أن مبعث هده المدنية الأوروبية المتعاظمة كان من أرض الشرق وخاصة ديار الإسلام فيه.

ج –الدوافع الاستعمارية: وهي بلا شك تمثل " النقطة الخطرة في العلاقات بين الشرق والغرب" [37].لقد كانت العلاقة بينهما دائما وأبدا تتميز بالتصادم والمواجهة، علاقة مستعمر بمستعمر، علاقة غاز بمقاوم لهدا الغزو، علاقة مهيمن يريد بسط قوته أينما حل ونشر عقليته وديانته ومدنيته والمطالبة بالخضوع لها كلها، بصاحب أرض يرفض التخلي عن هويته وتقاليده ومقوماته الشخصية والعقدية ويبذل الغالي والنفيس في سبيل الحفاظ على حريته واستقلاليته، فكيف بالغازي إذا أصبح مغزوا ومطاردا مهزوما مكسور الكبرياء ومجروح الشخصية أمام الصفعات المتلاحقة التي كانت تكال له على يد الأعراب الذين تحولوا إلى الإسلام فصاروا قوة بعد ضعف، وكونوا دولة فإمبراطورية شاسعة الأطراف بعد ما كانوا قبائل متنافرة .وبعد هذا وذاك وفي بضع مئات سنين تصير لهم حضارة ما مثلها حضارة ومدنية تتنادى إليها الأسماع وترنو إليها الأبصار، فكيف لا يكون هنالك إلى جانب الإحساس بالخطر وواجب دفعه، إحساس بالحسد والرغبة في الهيمنة والامتلاك من جديد، وكان المستشرقون الأوائل أكثر من لمسوا روعة الحضارة وغناها وتعاظم خيراتها وخيرات الأصقاع العربية وغير العربية التي كانت تحت الحكم العربي، وهذا ما يحيلنا إلى نقطة مهمة جدا هي أن توسع الدولة الإسلامية كان –كما ذكرنا –على حساب وجود ونفوذ إمبراطوريات ودول كالفرس والرومان البيزنطيين وغيرهم، هذا التوسع حرمهم من كثير من المزايا، من بينها السيطرة على مواقع ظلت ولا زالت إستراتيجية ومهمة في التجارة والاقتصاد، كطرق القوافل والسفن وغيرها.

فكان لا بد من استعادتها أو بالأحرى محاولة استعادتها من يد العرب .ومن يضمن معرفة بالعرب تتيح المضي في هدا غير المستشرقين الذين عاشوا آنذاك بين ظهراني العرب في الحواضر الكبرى كما في البوادي فنقلوا " معلوماتهم ومشاهداتهم لسلطات بلداتهم، حتى يتم التحضير السليم والشامل" لخوض معركة فاصلة "ضد الإسلام

35 المرجع نفسه، ص51.

36 المرجع نفسه، ص52.

37 المرجع السابق، ص50.

والمسلمين .وهكذا" سار المستشرقون في ركاب الاستعمار الغربي–سواءا قديما أو حديثا ...–فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها، والاستيلاء على خيراتها وثرواتها." (38)

ويتوسع بعض الباحثين في هذه الدوافع، فإضافة إلى اقتناعهم بأن الدوافع السابقة الذكر تمثل الأصل والقوة في حركة الإستشراق، إلا أنهم يضيفون إليها بعض الجوانب الأخرى التي كان لها دور في نشوء الإستشراق وتطوره، سنجملها في التالي باختصار.

د –**الدوافع النفسية** :حيث أن الغرب الباحث لم تكن لتخمد نفسه أمام العجب الذي عاينه في الحضارة العربية وتقدمها، وهو الأمر الذي وجد فيه منبعا لا ينضب لإرواء عطشه المعرفي وإشباع فضوله وحاجته الاطلاع على سر هذه القوة والعظمة المذهلة أنداك، وخاصة إذا نظرنا إلى" جاذبية الشرق وروعة مآثره من قديم الزمان وما أحدثه الإسلام فيه، فإن الإنسان لا بد أن يلهبه الشوق إليه(39)."فيدفعه – أي المستشرق –كل هذا إلى تحمل الصعاب والصبر على الشدائد في سبيل الوصول إلى هذا المعين المميز.

إضافة إلى الظمأ للتعرف على حياة الآخرين وأفكارهم، وأخبارهم وأسرار حياتهم، دون أن نغفل الرغبة الشديدة في العيش الرغيد والتظلل بظلال الحياة الكريمة المترفة أحيانا.

هـ–الدوافع الاقتصادية: إذ نظرا لفداحة الظروف التي كانت أوروبا تعيشها اقتصاديا وقساوة يومياتها إبان حكم الكنيسة و الإقطاع، فإن الفقر كان منتشرا جدا لدى كل طبقات الشعب الكادحة من العمال والفلاحين خاصة في المناطق النائية التي كانت إضافة إلى الفقر في المعيشة، قاسية المناخ، وبيئة ذات أوبئة وأمراض لا سبيل إلى ردها في ظل الجهل المنتشر والعقلية المتخلفة السائدة آنذاك،وهؤلاء المستشرقون الذي سافروا واستقروا ورأوا خيرات العرب، طلبوا لأنفسهم ولأوطانهم كل هذه الثروات عن طريق الغزو والإغارة وقطع الطرق التجارية وكذا تجييش الجيوش لمحاولة دحر هذه القوة الإسلامية ونهب وسلب كل مقدراتها وبالتالي تحقيق الغني والرخاء. وكما أسلفنا فقد كانت الطريقة الوحيدة لتحقيق هذه الأهداف هي التنقل للشرق وتعلم لغاته وعلومه بغية التمكين للسيطرة والتفوق عليه(40).

وإضافة إلى كل هذه الدوافع الهامة نجد دوافع فكرية إيديولوجية وأخرى تاريخية ذات ارتباط وثيق بحركية الصراع الوجودي القائم منذ فجر الحضارة بين الشرق والغرب، ويمكن التوسع فيها بالرجوع إلى مصادر هذا البحث(41) .

---

38 أهداف الاستشراق، د. مازن مطبقاني، موقع مركز المدينة المنورة لدراسات الاستشراق وبحوثه WWW.madinnacenter.com

39 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش،ص41.

40 المرجع السابق، ص41.

41 المرجع نفسه، ص45.

وبالعودة للحديث عن نشأة الإستشراق وولادته يجب أن نشير إلى أنه لم يكن في مراحله الأولى منظما ورسميا ومحددا بدقة، إذ أن ظهوره بدأ بشكل انفرادي وتدريجي من طرف أفراد أوروبيين، رهبانا ومغامرين استهوتهم الدراسات الشرقية وبالأخص أحلام دون أن ننسى دور احتكاك الغرب بدولة، -exotique)الشرق الغرائبي)الإكزوتيكي العرب بالأندلس،و بالتالي فإن الإستشراق بدأ اجتهادا فرديا مدفوعا بحب الكشف والاستطلاع والمغامرة.فكان يتم دون إشراف مؤسسات ترعاه ودون تنظيم وتأطير وتخطيط حقيقي كما أصبح الحال عليه لاحقا، وهذا ما يصعب حقيقة من التاريخ بدقة له، ولا أحد من الباحثين يجرؤ أن يسمي أول غربي عني بالدراسات الإستشراقية" .إلا أنه من المؤكد أن بعض الرهبان قصدوا الأندلس وتعلموا منها وتخرجوا من مدارسها، وهؤلاء كانوا أول طلائع المستشرقين[42]".غير أننا إذا تحرينا التدقيق فلن نخرج بنتيجة مرضية لفضولنا، إذ أن الباحثين كانوا ولا زالوا يختلفون في التحديد الزمني لبداية الإستشراق، حيث نجد رأيا يطرح القضية من حيث هي التقاء بين الشرق والغرب، – وهي كذلك بالفعل – فيعود بنا إلى زمن الإسكندر الأكبر وزحفه على الشرق وتغلبه على نظرائه الفرس وكيف أنه وبعد أن تمت له الهيمنة على مصر والهلال الخصيب فكر في الاستيلاء على الجزيرة العربية فأرسل بعثات استكشافية إلى تلك المنطقة رصدت جغرافيتها ومسالكها وأجناسها و من ثم سبل الاستيلاء عليها.ودون الخوض في التاريخ نجد أن تلك المدونات قد تكون في نظر البعض ممهدة لأي معرفة بالشرق ستولد فيما بعد، [43] لكننا وبعيدا قليلا عن هذا الرأي، وحينما نتحدث عن الإستشراق بمعناه الحديث نجد آراءا قد لا تتعارض بقدر ما تختلف.وبالعودة إلى هذه الآراء نجد أنها في الغالب الأعم تتفق على أن الحروب الصليبية لم تكن المرحلة الحاسمة في نشأة الإستشراق وأنها في رأي بعض الباحثين لم تكن إلا نتيجة واحدة لمقدمة واحدة هي الإستشراق87 ."[44] يرى إسحاق الحسيني أنه من العسير بمكان تحديد نشأة الإستشراق بسنة، لكنه يرى أنه من الطبيعي أن يشد الإسلام في ظهوره نظر رجال الدين المسيحي، خاصة بالنظر إلى انتشاره السريع المذهل في الشرق والغرب .[45] 88هذه الطفرة الإسلامية لم تكن لتمر مرور الكرام، بل على العكس، خاصة إدا علمنا الأثر الذي حققته وتركته لأزمنة متعاقبة، فبحثوا عن السبل الناجعة للحد من انتشاره أولا ثم القضاء عليه لاحقا، ولا يكون ذلك إلا بدراسته ومعرفته قوة وضعفا،فكانت طلائع المستشرقين الأوائل التي شدت الرحال خاصة إلى الأندلس لما كانت تتميز به من تسامح و انفتاح، وهو قريب من رأي أسعد داغر الذي يشدد على أن هذه الطلائع هي نواة الإستشراق، ويحدد تاريخها بالقرن العاشر الميلادي وصولا إلى القرن الثاني عشر89 .[46]

---

42 ينظر: فلسفة الاستشراق، "أحمد يمايلوفيتش"، و"الظاهرة الاستشراقية" ساسي سالم الحاج و"تاريخ حركة الاستشراق "ليوهان فوك".

43 الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطبيب بن إبراهيم، ص29-30.

44 االظاهرة الاستشراقية "ساسي سالم الحاج"، ص29-30.

45 المستشرقون "نجيب العقيقي"، ط4، ج1، ص105-106..

46 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش، ص56.

على أن هناك آخرين يرون البداية الحقيقية للإستشراق كمنهج معرفي – في القرارات التي اتخذت في مجمع فيينا الكنسي الذي عقد بداية القرن الرابع عشر الميلادي، وبالضبط سنة 1312 م، والدي تقرر فيه إنشاء عدد من كراسي الأستاذية في العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات كل من أو كسفورد، باريس، بولونيا و أفينيون90 .[47] وهو رأي فيه الكثير من الصواب إذا تحدثنا عن الجانب البيداغوجي للقضية، والجانب الهيكلي، لكن بشيء من المنطق سنعلم أنه ما كان لهذه الكراسي أن توجد لو لم يوجد أساتذة متخصصون يشغلونها، وهو دليل ملموس على أن الإستشراق ذو جذور بعيدة قد تعود إلى القرن العاشر الميلادي كما ذكرنا قبلا، ولعله من المساعد أن نذكر أن أغلب المؤرخين للإستشراق يذكرون اسم البابا" سلفستر الثاني" 1003م (كأول، أو على الأقل أقدم مستشرق – أو " جربيردي أورلياك930) " معروف لدينا، وبالتالي يكون عصره هو ومن بدأ معه المشوار، عصر الخطوات الإستشراقية الأولى واقعا[48]91 .

و الرأي نفسه يذهب إليه برنارد لويس في حديثه عن النشأة الأولى للإستشراق، حيث يركز كثيرا على الاحتكاك التاريخي بين الغرب المسيحي والأندلس وحواضرها وأثر البعثات المتعاقبة من الطلاب المسيحيين الى طليطلة وقرطبة والزاهرة وغرناطة وغيرها من المدن الأندلسية التي لم تخل واحدة منها من علم غزير حمله هؤلاء الطلاب معهم إلى بلداتهم، حاملين فيه أسباب نهضة تجلت فيما بعد ذلك بزمن غير يسير92 .[49]

ودائما عند علماء الغرب نجد رودي بارت يجزم بأن البداية الفعلية العملية للإستشراق كانت في القرن الثاني عشر الميلادي،وسيؤيد رأيه هذا بحقائق تاريخية مثل ظهور أول ترجمة لاتينية للقرآن سنة 1143 م، إضافة إلى ظهور عمل أكاديمي مهم جدّا هو أول قاموس لاتيني عربي وبالتالي فإن بداية الإستشراق لا بد كانت في القرن الثاني عشر93 .[50]

وخلاصة القول أن أقرب الآراء للمنهجية العلمية الموضوعية والدقة التاريخية هو أن الإرهاصات الأولى للإستشراق كانت متمثلة في أولى البعثات الطلابية التي قصدت حواضر العالم الإسلامي خاصة مركز الخلافة في بغداد، ومدن الأندلس الشهيرة، هذه البعثات كانت مع أواخر القرن العاشر الميلادي، وهذه الخطوة هي التي مهدت لظهور ثمرات هامة بعد ذلك بقرن ونيف من الزمان مثل ولادة أول قاموس لاتيني عربي إلى الوجود وما زامنه وتلاه من أعمال أخرى خلال نفس الفترة، أي القرن الثاني عشر الميلادي الذي يعتبره أغلب الباحثين الفترة التي تجسد فيها عمل الاستشراق وبالتالي نشأته الفعلية، لكننا ورغم كل هذه التحديدات الزمنية المتفاوتة شيئا ما، لا يمكننا الجزم بمدة معينة محددة وإنما هي فقط مقاربات لأن لكل رأي جانب من الموضوعية التاريخية

---

47 المرجع نفسه، ص55.

48 الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب ابن إبراهيم، ص30.

49 ينظر: الاستشراق الفرنسي، "الطيب بن إبراهيم"، و"موسوعة المستشرقين" عبد الرحمن بدوي، و"المستشرقون" لنجيب العقيقي.

50 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش، ص57-58.

على الأقل وبالتالي فوجهات النظر ستظل محتفظة بخصوصياتها المعرفية الموفقة كل على حدة بأدلتها وبراهينها.

مدارس الإستشراق وأهم المستشرقين:

أ- المدرسة الايطالية :إن البدء بالمدرسة الإيطالية ليس إلا ايفاءا للمنطق والتاريخ، فإيطاليا كانت" أعرق أمم الغرب التي اتصلت بالشرق الأدنى اتصالا وثيقا منوعا، ونالت الثقافة العربية واللغات الشرقية من الترجمة والحفظ والتعليم .والنشر بفضل الفاتيكان حظا موفورا "...[51]

وبالتالي فليس من المبالغة القول أن ايطاليا مهد الدراسات العربية والإسلامية في وروبا ومن المعروف جدا دور الفاتيكان والباباوات المسيحيين في التأسيس للدراسات الإستشراقية وفيما يأتي بعض أهم أعلام الإستشراق الايطالي:

1-إغناطيوس جويدي (1844م-1935م) [52] **Guidi Jgnazio** : مولود في روما، تعلم العربية فيها ثم صار أستاذا لها في جامعتها منذ سنة 1885 م، انتدبته الجامعة المصرية أستاذا للأدب العربي تاريخيا وجغرافيا سنة 1908 م،يعد بحق شيخ المستشرقين في اللغات السامية، خاصة السريانية والحبشية .آثاره كثيرة تنوعت بين كتب ومحاضرات ومقالات نقدية، من أهمها نجد :نماذج من الكتابة الكوفية(1888م، كتاب الأفعال وتصريفها لابن القوطية 1894) م (ودراسة نص كليلة ودمنة 1873 م.

2-الأمير ليوني كايتاني(1069م-1926م)[53] **Leone Caetani** : ولد في رومة ودرس وتخرج من جامعاتها، تعلم وأتقن سبع لغات كبرى منها العربية والفارسية. كان ثريا وقد سمح له ثراؤه بإشباع رغباته المعرفية حيث كان عاشقا للثقافة الشرقية عامة والعربية على وجه الخصوص تنقل بين عده عواصم عربية مثل بيروت ودمشق والقاهرة وكذا دلهي عاصمة الهند، و "جمع شرقية زاخرة بالمخطوطات النفيسة"، من أهم مؤلفاته : حوليات الإسلام(رومة 1912 -13- 14- 18-18-26)،انتشار الإسلام وتطور الحضارة (بولونيا 1912م)والتاريخ، الشرقي :سيرة الرسول (ميلانو 1914 م).

3-كارلو ناليو[54] **(1872م-1938م) Carlo Affonso Nallino** : من مواليد مدينة تورينو، درس وتعلم اللغة العربية في جامعتها، صار أستاذا للعربية في المعهد العلمي الشرقي في نابولي (1894-1902)

---

51 المستشرقون، نجيب العقيقي، ص405.

52 تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، دار المدار الإسلامي، ترجمة عمر لطفي العالم، ط02، 2001، ص150.

53 المرجع السابق، ص152.

54 موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي، ص150.

ثم استاذا في جامعة بالرمو و روما بعد ذلك حيث أنشئ له خصيصا كرسي للتاريخ والدراسات الإسلامية (1915م). منذ سنة 1909م وهو يحاضر باستمرار في مصر.

من أهم آثاره :تكوين القبائل العربية في الإسلام(1893م)، فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية لجمع العلوم في تورينو(1901م) شعر ابن الفارض والتصوف الإسلامي (20 -1919م) وغيرها الكثير.

المدرسة الانجليزية[55] :

أنشئت أول أقسام اللغة العربية في الجامعات البريطانية بين عامي 1632م و1636م في جامعتي كمبريدج وأكسفورد على التوالي.في البداية كان الطابع الفردي هو الغالب على الدراسات العربية الإسلامية في بريطانيا، إلا أنه ومع مرور الوقت بدأت المراكز والجمعيات الاستشراقية بالظهور والتطور بدءا بالمراكز التي أنشأتها شركة الهند الشرقية لتكوين موظفين ومترجمين في سبيل استكمال احتلال الهند كافة،إلى غاية سنة 1916 م، سنة نشأة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية والتي استمرت وتطورت حتى أصبحت رائدة الاستشراق البريطاني عامة في العصر الحديث ومنارة له، ونجد من أهم من مثل الاستشراق في انجلترا:

1-) ديفيد صموئيل مرجليوث(1858م-1940م) Margoliouth David Samuel[56]: من المستشرقين الانجليز المشهورين بعلاقتهم بالأدب والتاريخ العربي الإسلامي ومن الطريف أن نعرف أن بداياته العلمية كانت مع دراسة اليونانية واللاتينية، وأن اهتمامه باللغة العربية كان بعد ذلك بزمن حيث تعلم العربية ودرس تاريخ العرب والمسلمين وآدابهم، وقد اقترن اسمه بنظرية النحل التي نقلها الراحل طه حسين في كتابة " في الشعر الجاهلي " والتي يشكك فيها في صحة وتاريخية الشعر العربي ويدعي فيها أن أغلبه إن لم نقل كله موضوع .من مؤلفاته :نشر كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (1915م)، ورسائل أبي العلاء المعري(1919م) عدا عن كم معتبر من المقالات والتآليف المتنوعة.

2-آثرجون أربري (1905م-1969م) Arthur John Arberry[57]: من مواليد مدينة بورتسموث جنوب بريطانيا، عكف بعد التحاقه بجامعة كمبريدج على دراسة اللاتينية واليونانية، ثم سرعان ما زاد على ذك دراسة اللغة العربية بتوجيه من أحد أساتذته، ورحل لأجل ذلك إلى مصر لاستكمال معرفته باللغة العربية وآدابها، وهناك عمل في كلية الآداب بجامعة القاهرة رئيسا لقسم الدراسات القديمة .أصدر خلال حياته أعمالا متنوعة بين اللاهوتي والتاريخي والأدبي وغيره، ومنه نجد" :ترجمة معاني القرآن الكريم "وهو من أهم آثاره، أن لم يكن الأهم فعلا والتي صدرت سنة 1955 م، ترجمة مسرحية" مجنون ليلي "لأحمد شوقي.

---

55 تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، ص83.

56 شخصيات من الشرق والغرب، نجم الدين غالب الكيب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1969م، ص112.

57 تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، ص86.

3- برناردو لويس (1916م) [58] **Bernard Lewis:**إلتحق بجامعة لندن ودرس بها التاريخ، ثم كان انتقاله إلى فرنسا للحصول على دبلوم الدراسات السامية سنة 1937 م حيث كان المستشرق الفرنسي الشهير لويس ماسينيون من بين أساتذته هناك، حصل على الدكتوراه سنة 1939 م في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، أصبح أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي عام 1949 م في المدرسة السالفة الذكر، ثم رئيسا لقسم التاريخ سنة 1957 م.

يعد برناردلويس من أغزر المستشرقين الانجليز إنتاجا خاصة في كل ماله علاقة بالتاريخ العربي الإسلامي، كما اتجه في السنوات الأخيرة إلى الكتابة عن المجتمع الإسلامي المعاصر وظواهره.

ج- المدرسة الروسية [59] : لها علاقة وثيقة بالعالم العربي الإسلامي منذ العصر العباسي وتبادل السفارات بين الخلافة والإمبراطورية، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن روسيا أو الاتحاد السوفياتي وبحكم ضمه لعدة جمهوريات مسلمة تحت مظلته فقد كانت علاقتها بثقافة وعادات هذه الجمهوريات قائمة على نوع من الاحتكاك والمعرفة التي تتيح لها التعامل معها بما يناسبها دون غيرها وفي الجانب الأكاديمي فلا تكاد تخلو جامعة روسية اليوم من كراس للغة العربية والتاريخ الإسلامي، ومن أهمها جامعة موسكو المركزية، جامعة قازان التاريخية، وجامعة بطرسبرغ، وبالطبع فإن هذه المراكز الإستشراقية قد ساهمت في تخريج عده لا بأس به من المستشرقين اللامعين الذين حملوا لواء الإستشراق الروسي، ومن أهمهم:

1-إعناطيوس كراتشكوفسكي[60] **(1883م-1951) Jgnarj Krachovskiv**: رائد الإستشراق الروسي المعاصر وحامل لوائه، فلا يذكر أحدهما دون الآخر أبدا.درس اللغات اليونانية واللاتينية، ثم اعتمد على نفسه في درس العربية، ثم التحق سنة 1901 م بكلية اللغات الشرقية في جامعة بطرسبرغ ودرس فيها اللغات التركية والفارسية والعبرية...اهتم بالشعر العربي في العصرين الأموي والعباسي.

2-ليونيد ايفانوف (1886م -1970م) L-Ivanov[61]: اهتم بدراسة الفرقة الشيعية الإسماعيلية في مصر.

3-ف.ف بارتولد (1869م-1930م) V.V Barthold: [62]درس التاريخ الإسلامي في جامعة سان بطرسبرغ ثم عمل فيها أستاذا للشرق الإسلامي وتاريخه.اهتم بدراسة المصادر الكبرى للتاريخ الإسلامي، كما اهتم بدراسة مؤلفات ابن خلدون خاصة نظريته في الحكم. أنتخب عضوا في مجمع العلوم الروسي، ورئيسا للجنة المستشرقين.

---

58 المرجع نفسه، ص90.

59 المرجع السابق، ص130.

60 موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص

61 المرجع نفسه، ص.

62 المرجع السابق، ص.

د -المدرسة الأمريكية[63]:

مقارنة بالمدارس الإستشراقية الأوروبية خاصة، فإن الإستشراق الأمريكي جاء متأخرا وذلك الأسباب عديدة منها التاريخية) تأخر ظهور الولايات الأمريكية المتحدة إلى الوجود (وقلة نفوذها مقارنة بفرنسا أو انجلترا في الوطن العربي مع بدايات القرن التاسع عشر والعشرين (ومنها العلمية والتقنية) عدم ظهور المراكز الإستشراقية وتعزيزها بالمستشرقين الأكفاء إلا أخيرا .(إلا أن ذلك لم يدم طويلا، وبمساعدة من بريطانيا وبشراكة معها بدأت الجامعات الأمريكية تكون مكتباتها الخاصة من المخطوطات العربية النفيسة .ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية انتدبت الجامعات الأمريكية عدد كبيرا من أعلام المستشرقين، الإنجليز منهم خاصة وافتتحت مراكز عديدة بمعية هؤلاء مثل مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد الذي أسسه الانجليزي النابه السير هاملتون جب.

ويحسب للمدرسة الأمريكية أنها خطت بالإستشراق خطوات جديدة جعلته يتجه أكثر نحو الاختصاص والتخصص أكثر فأكثر فأصبحت الدراسات أكثر دقة في منطقة معينة وفي فرع من فروع المعرفة دون غيره.من أهم من مثل المدرسة الأمريكية في الإستشراق نجد:

1–جورج سارتون (1884م–1956م) George Sarton [64]: بلجيكي الأصل، كان اختصاصه العلوم الطبيعية والرياضية، درس العربية في بيروت في الجامعة الأمريكية هناك، ألقى محاضرات كثيرة حول أحداث التاريخ الإسلامي وفضل العرب على الفكر الإنساني،من أهم إنتاجاته والتي ركز فيها على دور العرب والمسلمين في الحضارة الإنسانية كتابه المهم "المدخل إلى تاريخ العلم".

***2*-دنكن بلاك ماكدونالد (1836م–1943م)** [65] :من أصل انجليزي، بدأ حياته العلمية في اسكتلندا، وبعد انتقاله الأول، إلى برلين أين تتلمذ على بعض المستشرقين الألمان وأخذه عنهم، توجه إلى أمريكا عام 1893 م من أجل تعليم اللغات السامية.

تنوع إنتاجه بين الدراسات الشرعية والدراسات اللغوية من أهم أعماله تأسيسه " مجلة العالم الإسلامي "مع جمع من المستشرقين والمتخصصين الأمريكيين سنة 1911 م.

3–غوستاف فون غروبناوم (1909م–1972م) Gustav von Gunhaum[66]: نمساوي المولد، درس في جامعة فيينا، ثم جامعة برلين، هاجر إللى الولايات المتحدة والتحق بجامعة نيويورك سنة 1938 م، ثم ارتحل إلى

---

63 تاريخ حركة الاستشراق، يوهان، ص223.

64 المرجع السابق، ص128.

65 المرجع نفسه، ص231.

جامعة شيكاغو، ليستقر به المقام في جامعة كاليفورنيا حيث جد واجتهد وكان له الفضل الأكبر في تأسيس مركز دراسات الشرق الأوسط بها، من المهتمين بدراسة الأدب العربي ومن أهم كتبه المعروفة:" الإسلام في العصر الوسيط."

هذا و فضلا عن هذه المدارس التي سقناها أمثلة ونماذج، فإن هناك مدارس أخرى متميزة مثل المدرسة الهولندية،و المدرسة الألمانية والمدرسة اليوغسلافية، ولكل منها رجالاتها الذين لهم مكانتهم في تاريخ الإستشراق.

المدرسة الاستشراقية الفرنسية :

كانت العلاقات الثقافية بين فرنسا والشرق العربي الإسلامي عامة، الشرق الأدنى خاصة علاقات حيوية نشيطة، فرغم اختلاف درجاتها بين التنافس والتعاطف، والانجذاب والتنافر، وكذا محاكاة النموذج الآخر أو البحث عن نقيضه إلا أنها – أي العلاقة -لم تجنح أبدا إلى التغافل أو التجاهل، وذلك منذ اللقاء التاريخي الأول بينهما متحاربين إثر غزو جيوش المسلمين جنوب فرنسا واحتلال ما شاء الله لها أن تحتل من مدن وقلاع، و الرغم من خسارة المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي لمعركة " بواتييه" (بلاط الشهداء) سنة 732 م[67]إلا أن الاحتكاك ظل مستمرا سواء عسكريا -و إن اقتصر على الجنوب الفرنسي – أو دينيا أو ثقافيا.

أ -تاريخ العلاقات الثقافية بين فرنسا و العالم العربي:

لقد كان لهذا الصدام أثر قوي في وعي كل طرف بالآخر، خاصة وعي الغرب –ممثلا في فرنسا -تجاه الوجود العربي الإسلامي " .بل إن نشأة ما عرف فيما بعد بالأدب الفرنسي، ربما كانت مدينة لهذا الصدام ذاته، فبعد أقل من خمسين عاما على موقعه بلاط الشهداء،حدثت موقعة " رونسيفو "سنة 778 م بين المسلمين والفرنسيين....الذين كان يقودهم رولاند ابن أخ الإمبراطور شارلمان، وأصبح رولاند بطلا لملحمة شعرية.....أصبحت النواة الأولى لاستقلال الأدب الفرنسي عن اللاتينية[68]". هكذا وجدت فرنسا نفسها في مواجهة الزحف الإسلامي العربي باعتبارها بوابة لباقي أوروبا، وكان لتصديها لهذا الزحف الداهم أثر قوي ليس في فرنسا وحدها بل في كل أوروبا، حيث أصبح شارل مارتل بطلا وأصبحت فرنسا حامية للمسيحية كلها ورمزا للتضحية في سبيل الكنيسة. وبما أن الوجود العربي الإسلامي قد فرض نفسه على الجميع، فقد كان لزاما-كما أسلفنا في الفصل السابق- أن يحدث تقارب من نوع ما بين فرنسا والغرب من جهة والمشرق الإسلامي من جهة ثانية، وسنجد أن استقرار المسلمين الفاتحين في المدن والقلاع الفرنسية الكثيرة– أغلبها في الجنوب -واحتكاكهم بأهلها جعل هذا التقارب أكثر إمكانية وأكثر أمانا، خاصة إذا علمنا أن النموذج الحضاري العربي حاز إعجاب

---

66 المرجع نفسه، ص233.

67 الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن براهيم، دار المنابع، دط، سنة2004م، ص55.

68 الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، أحمد درويش، دار غريب، دط، سنة 2004، 19/18.

ورضا كثير من الأقليات العرقية التي كانت تعيش تحت حكم الإفرنج [69] خلال ولاية شارل مارتل نفسه. ما الذي يهمنا أكثر في هذا المقام فهو سعي الطرف الغربي الفرنسي إلى استكشاف حقيقة هذا العدو الذي لم يكن في الحسبان، وهو ما يضعنا أمام إرهاصات نشوء علم الإستشراق الفرنسي منه خاصة وإنه لمن المسلم به القول أن المدرسة الإستشراقية الفرنسية من أقدم وأعرق المدارس الغربية في الميدان، ومن أقواها حضورا منذ ظهور طلائع المستشرقين الأوائل المعروفين، وليس أدل على ذلك من أن أقدم مستشرق معروف متفق عليه ليس إلا الفرنسي " جربرت دي أوريلياك "السابق الذكر في الفصل السابق والذي استمر تلامذته- ومن أتبعهم في الميدان ذاته -في بذل الوقت والجهد والمال للوصول بالدراسات الشرقية في بلادهم – خاصة التاريخية والدينية والاجتماعية منها -إلى مصاف ضروب العلم الأخرى التي كانت تحظى بمكانة مرموقة ومحترمة، و عودا إلى ما سبق نقول إن اللقاء العسكري الأول بين الفرنسيين والفاتحين المسلمين ولّد لدى الطرف الفرنسي رغبة ملحة في معرفة سر قوة هذه الحضارة الوليدة، هذه الرغبة هي التي دفعت الفرنسيين في فترة ما بعد المواجهات الساخنة إلى البحث عن المنجزات الحضارية العربية والعكوف على دراستها والاستفادة منها، ولقد تجلى هذا في فترات مبكرة منذ القرن الحادي عشر الميلادي ف "حين سقطت طليطلة سنة 1085م في يد الملك الإسباني ألفونس السادس، سارع العلماء الأسبان والفرنسيين.....إلى العكوف .على كنوز المخطوطات العربية في المدينة المستسلمة لدراستها وترجمة جانب منها" [70].

ويبدو أن هذه المخطوطات قد حولت طليطلة إلى كعبة للدارسين من أرجاء أوروبا وفرنسا خاصة، يلتقون جميعا ويحاولون ترجمة ما يستطيعون ترجمته من العربية إلى اللاتينية لغة الثقافة المشتركة لجنوب أوروبا آنذاك.ودفع هذا الحماس بعضهم إلى المدى البعيد، فهذا المطران ريمون -مطران قشتالة -كون فريقا من "المترجمين الفرنسيين واليهود والعرب قدموا باكورة التراجم عن العربية لمؤلفات ابن سينا والكندي والفارابي وابن رشد"[71]، ولم ينقطع سعي الفرنسيين نحو المخطوطات العربية النفيسة والبحث عنها، بل استمر وتتابع بوتيرة متباطئة أحيانا متسارعة أحيانا أخرى حسب الظروف السائدة في كل مرحلة، فنرى أن الوتيرة ما لبثت أن أخذت تتسارع وتخطو خطوات مهمة أثناء فترة الحروب الصليبية التي أعطتهم منفذا جديدا نحو معاقل هذه النفائس من المخطوطات والكتب في الشرق، فجلبوا منها الكثير[72]. بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى أنها صارت -أي المخطوطات – هدفا لبعض غاراتهم، والحادثة التي رواها الفارس العربي الشهير أسامة بن منقذ خير دليل على ذلك[73].

---

69 المرجع السابق، ص19.

70 المرجع السابق، ص20.

71 المرجع نفسه، ص20.

72 المرجع نفسه، ص20.

73 سبق لنا تناول هذه الملحوظة في الفصل الأول. ص48.

وصار تزايد أعداد المخطوطات العربية القادمة من الأندلس تارة، ومن باقي مناطق الشرق تارة، ونشاط حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية خاصة، دافعا للقيام بإعداد إحصاءات بالمترجمات العربية إلى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر الميلادي ".و قد أحصى" ليكليرك "ثلاث مئة عمل مترجم حتى القرن الثالث عشر، منها تسعون في. الطب وتسعون في الفيزياء الطبيعية وسبعون في الرياضة والفلك[74]".

كل هذا إنما يدل على ازدياد حركة البحث عن المخطوطات العربية النفيسة و العمل على تصنيفها وفهرستها، خاصة في فرنسا، فشكلت -أي حركة الترجمة – إحدى الظواهر ا لثقافية المهمة خلال القرون التالية خاصة إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين. وعلى هذا النسق استمرت رحلة البحث عن نفائس المخطوطات العربية بكل الطرق المتاحة، فمن جهة بعثات الطلبة الذين كان من نصيبهم حظ وافر من مكنونات هذه الكتب ومن علمها الزاخر، ومن جهة بعثات الرحالة والحجاج والسفراء والمبعوثين الذين لم يألوا جهدا في اقتناء ما أتيح من الكتب والمخطوطات خاصة عن طريق شرائها من مختلف المناطق مثل "العاصمة العثمانية إسطنبول التي كانت مكتباتها العامة والخاصة تعج بالمخطوطات العربية المجلوبة إليها من الولايات العربية المختلفة[75]" كما كانت تجمع من بعض المدن العربية الكبيرة على غرار دمشق وبغداد وفاس وغيرها من كبريات الحواضر الإسلامية.

ولقد كثرت المخططات العربية في المكتبات العامة والخاصة في فرنسا، خاصة أنها كانت ميزة للتباهي زيادة على أهميتها العلمية والتاريخية، ووصل عدد هذه المخطوطات حسب بعض الدراسات 1683 " مخطوطة سنة 1838م" [76]. وبالتالي تزايد الإحساس بأهميتها مما دفع لويس السادس عشر فيما بعد إلى "مشروع طموح يهدف إلى ترجمة كل هذه المخطوطات العربية إلى الفرنسية "[77]لكنه مات قبل تحقيق مراده، وما فتئت الأمور تتحسن بالنسبة للفرنسيين وتسوء بالنسبة للدولة أو الخلافة الإسلامية.

فبعد الا تصال المباشر بين فرنسا والعالم العربي والذي حدث في القرن التاسع عشر، انطلاقا من حملة نابليون على مصر، واحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 م، ولتونس سنة 1881 م، ثم تواجدها بالمغرب والشام بعد ذلك، نقول بعد هذا الاتصال زادت روافد المخطوطات العربية التي بدأت تتدفق من المستعمرات الجديدة والبلدان المنتدبة إلى المكتبات الفرنسية، وعلى سبيل المثال الدال على قوة هذه الروافد الجديدة، نجد أنه في" الربع الأخير من القرن التاسع عشر بلغ عدد المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس (Bibliothèque Nationale)

---

74 الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، أحمد درويش، ص21.

75 المرجع نفسه، ص21.

76 الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن إبراهيم، ص25.

77 المرجع نفسه، ص26.

وحدها ثلاثة آلاف وخمس مئة مخطوط [78]. وقد تضاعف هذا العدد الآن فتجاوز "سبعة آلاف صنفت تصنيفا جيدا وحفظت بأحدث الوسائل العلمية[79]".

إن هذه الأعداد الهائلة من المخطوطات العربية والمنجزات الحضارية العربية المختلفة التي عرفتها فرنسا منذ أزيد من ألف عام والتي لم تتوقف عن النمو والتراكم، قد أوجدت حولها طبقة من الدراسيين والباحثين المهتمين باللغة العربية وآدابها والذين شكلوا في معظمهم رجالات الاستعراب أو الإستشراق بوجه عام. وقد واكب عمليات الجمع هذه دراسات علمية "للمستشرقين الفرنسيين عن علوم المخطوطات العربية ومن أشهرها كتاب بلاشير وسوفاجيه " Règles Pour Editions Et "Traductions Des Textes Arabes قواعد تحقيق المخطوطات " العربية وترجمتها "[80]. إن كل ما سبق يعطينا لمحة مختصرة عن مدى قوة وحيوية العلاقة التي قامت بين فرنسا والعالم العربي ولا زالت إلى يومنا هذا رغم اختلاف أجيال المستشرقين وكذا جماهيرهم ومريديهم واختلاف الظروف العامة المحيطة بهذه العلاقة، ولعلنا نسوق هنا معلومة قد توضح ما نرمي إليه مما سبق، حيث إن المتصفح للكتاب القيم جدا للدكتور عبد الرحمن بدوي " المستشرقون " سيلاحظ مع بعض الجهد أنه احتوى على أكثر من خمسين إسما لمستشرقين فرنسيين، في حين اقتصر عدد الإنجليز منهم على بضع وثلاثين اسما، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحضور القوي لواحدة من أكبر المدارس الإستشراقية قديما وحديثا على قدم سواء. أما الآن فسنتقدم لنعطي تفصيلا للخطوات التي جسدت هذه العلاقة – علاقة فرنسا بالتراث العربي -تجسيدا فعليا منذ العصور الأولى للإستشراق إلى يومنا هذا، مع ملاحظة أن هذه الآليات التي سنتكلم عنها لم تكن في فرنسا وحدها، بل انتشرت في أنحاء معروفة من أوروبا كإيطاليا وبريطانيا وألمانيا على سبيل المثال لا الحصر.

ب-كراسي اللغات الشرقية:

طلبت فرنسا الثقافة العربية -على اختلاف جوانبها – في مدارس الأندلس خاصة بالإضافة إلى صقلية، وما إن أطل القرن الثاني عشر حتى ظهرت أول مدرسة عنيت بتدريس اللغة العربية وآدابها ضمن تدريس اللغات الشرقية الأخرى. ونحن نقصد مدرسة "ريمس" Reims" التي قامت بأمر من البابا سيلفستر الثاني[81]". وهذه المدرسة تعتبر رائدة في فرنسا. إلا أنها ليست الوحيدة، فبعد قيامها قامت مدارس أخرى بعضها درس مختلف اللغات والعلوم وبعضها تخصص في اللغات فقط [82] . نجد من بين هذه المدارس " مدرسة شارتر" –1117م .و مدرسة مونبيلييه للط –1220م ". وقد أنشأتها بقية من الجالية الإسلامية المغربية كانت على صلة بالإسبان و اليونان.

---

78 المرجع نفسه، ص22.

79 المرجع نفسه، ص22.

80 الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، أحمد درويش، ص23.

81 المستشرقون، نجيب العقيقي، در المعارف، ص138.

82 المرجع نفسه، ص138.

فطارت شهرتها و توافد عليها طلاب الطب من كل صوب .ثم في مدارس أديار الرهبان[83]"وقريبا من ذلك تم الاعتراف بنقابة الأساتذة بباريس، هذه النقابة التي صارت " نواة جامعة باريس[84]"وفور وقوع ذلك أقر به البابا أنوسنت الثالث – وكان من خريجيها – وأقر قوانينها عام 1210م. ومع بداية القرن الرابع عشر قضى البابا إكليمنس الخامس في مجمع فيينا(1311م-1321م) بإنشاء كراس للعربية والعبرية والكلدانية في عواصم أوروبية يومئذ: باريس، رومة، أكسفورد، بولونيا، وصلمنكة. فأنشأت جامعة باريس كرسيا للغات السامية، في العصور الأخيرة أنشأ كرسي للدراسات الإسلامية في جامعة باريس تتمة للقسم العربي في السوربون (1955م) [85].

وفي السطور التالية سنحاول أن نعدد بعض اللحظات والمحطات التاريخية التي مثلت ظهور بعض المعاهد والجامعات – فيما بعد -وبالتالي ظهور كراسي اللغة العربية فيها إلى جانب كراسي اللغات الشرقية الأخرى.

- جامعة تولو: - Toulouse – 1217م: وقد أنشأها رجال الدين المسيحيون بمباركة من الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا[86].
- جامعة بوردو: - Bourdeaux- 1441م: وفيها معهد الآداب للغة العربية والتمدين الإسلامي[87].
- -ريمس:- Reims-: أنشأ الملك فرانسوا الأول كرسيا للعربية والعبرية (1519م). ولم يكتف الملك ريمس، بل أنشأ معهد فرنسا _ "كوليج دي فرانس– Collège De France" 1530م. وأعد فيه كرسيين للعبرية واليونانية وأضاف إليهما الملك هنري الثالث كرسيا للعربية سنة1587م[88].
- وفي سنوات 1699م، 1718 م و1721م وقع الملك لويس الرابع عشر قرارات رسمية تؤلف ما عرف ب : "بعثة فتيان اللغات". [89] فتعلم فتيان هذه البعثات اللغات السامية في معاهد باريس، وفي مدرسة الشباب الملحقة بمعهد لويس الكبير ثم أرسلوا إلى القسطنطينية، وبعد ذلك ألحقوا بالسلك السياسي، أو انتدبوا للترجمة، أو عينوا أساتذة للغات السامية في فرنسا بعدما تضلعوا فيها وبرعوا.
- ثم أنشأت مدرسة ستعتبر محطة من الأهمية بمكان، وهي "المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية "بباريس سنة 1795م[90] .Ecole Nationale Des Langues Orientales Vivantes وفي الأغلب الأعم كانت موجهة للسفراء والقناصل، وكذلك التجار الذين كان الشرق مقصدهم. وهي المدرسة التي

---

83 المرجع نفسه، ص139.

84 المرجع نفسه، ص138.

85 الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه – طيب بن براهيم – دار المنابع، ص61.

86 المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، ص139.

87 المرجع نفسه، ص139.

88 المرجع نفسه، ص139.

89 المرجع نفسه ص 139.

90 المستشرقون، نجيب العقيقي، ص139.

أصبحت محجا للطلاب يتوافدون عليها من كل أنحاء أوروبا لما تولى " العلامة دي ساسي تدريس العربية و الفارسية فيها..... ولم يحدث أن ازدهرت مدرسة إستشراقية في الغرب. ازدهارها، و معظم من بزغ نجمه في الإستشراق في ذلك العهد كان من طلابها[91].

من أشهر جامعات فرنسا – إن لم تكن الأشهر – جامعة السوربون التي ظهرت سنة 1257م على إثر هبة من الأب "وبر دي سوربون*"، وبعد ذلك بحوالي أربعة قرون و بالتحديد سنة 1626م جدد بعض رجال الدين بناءها. وفي سنة 1808م قام نابليون بضمها إلى جامعة باريس، و فيها عني معهد الآداب– Institut De Littérature – بتاريخ الفن الإسلامي المغربي، وتاريخ الشعوب الشرقية.....ثم ألحق بمعهد الآداب معهد الدراسات الإسلامية – Institut D'Etudes Islamiques – وفيه اللغة والتاريخ والدراسات الدينية واللغات وعلم المجتمع الإسلامي[92].

- جامعة ليون 1808م – Lyon – وفيها كانت تدرس اللغة العربية والمصريات – على الآثار المصرية – والتمدين الإسلامي[93].
- المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس 1868م: وفيها قسم العلوم الدينية الملحق بالسوربون، والمختص بدراسات الإسلام وأديان الجزيرة العربية، وفقه اللغات الشرقية[94].
- جامعة ستراسبورغ 1872م – Stransbourg – ودرس فسها تايخ الشرق، وقد تحولت إلى ألمانيا قبل أن تستعيدها فرنسا سنة 1917م[95].
- المعهد الكاثوليكي في باريس 1875م – Institut Catholique De Paris– وفيه تم تدريس اللغات لعربية والسريانية والقبطية والحق القانوني الشرقي [96].

على أن تدريس اللغات السامية لم يقتصر على معاهد وجامعات فرنسا الداخلية، فالباحث يجد أن الإدارة الفرنسية أنشأت مثيلات لها -للمعاهد والجامعات طبعا – في الشرق الأدنى -المغرب العربي حاليا -وشمال إفريقيا، وملت على تزويدها بالمكتبات والمطابع دون إغفال الأساتذة والمحاضرين الذين كانوا روادا لها .وفي التالي نورد أهم هذه المدارس والمعاهد التي أسستها الإدارة الفرنسية.

---

91 المرجع نفسه، ص40.
92 المرجع السابق، ص140.
93 المرجع نفسه، ص140.
94 المرجع نفسه، ص140.
95 المرجع نفسه، ص140.
96 المرجع نفسه، ص140.

- معهد مصر: 1798م – Institut D'Egypte – [97]: وقد أسسه نابليون بونابرت مباشرة بعد دخوله مصر أثناء حملته الشهيرة.
- المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة: 1880م – Institut Français D'Archéologie Orientale, Au Caire[98].
- كلية بورجاد -1841م – Bourgade – في تونس، أنشأها الأب بورجاد من الرهبان البيض، وهي الكلية التي تحولت فيما بعد إلى معهد الآداب العربية (1937م) [99].
- معهد قرطاجة :في تونس1895 م [100].
- معهد الدراسات العليا: تونس- 1945م[101].
- مدرسة الآداب العالية في الجزائر: 1881 م -و التي تحولت فيما بعد إلى صرح علمي هام هو جامعة الجزائر(1909م)، و عنيت بتدريس اللغة العربية العصرية وعلم الآثار .الإسلامية والتاريخ. ألحق بها بعد ذلك معهد للدراسات الشرقية [102].
- معهد الدراسات المغربية: في الرباط سنة1931[103].
- المعهد الفرنسي: في دمشق سنة 1922م [104].
- المعهد الفرنسي الإيران: طهران سنة 1948م [105].

وبعد سنة 1957م، عملت فرنسا على إدخال مواد جديدة في التعليم الثانوي عن التطور التاريخي للشرق والحضارات الكبرى، وكان حظ الحضارة العربية الإسلامية من ذلك وافرا بالنظر للتقارب التاريخي ولظروف التاريخية التي حكمت علاقة فرنسا بالعالم العربي الإسلامي.

ج-المكتبات:

لقد تحدثنا في الصفحات السابقة عن قوة توارد المخطوطات العربية على فرنسا، وذكرنا تنوع هذه المخطوطات وكثرتها مما حتم وجود مكتبات على اختلاف أشكالها عامة كانت أو خاصة لاحتواء هذا الكم الهائل

---

97 المستشرقون، نجيب العقيقي، ص 141.

98 المرجع نفسه، ص141.

99 المرجع نفسه، ص141.

100 المرجع نفسه، ص141.

101 المرجع نفسه، ص 141.

102 الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن براهيم، ص75.

103 المستشرقون، نجيب العقيقي، ص141.

104 المرجع السابق، ص41.

105 المرجع نفسه، ص141.

من هذه المخطوطات وكذا احتواء كم الدراسات والفهارس التي صيغت حولها من لدن الباحثين والعلماء والتخصصين. وقد حفظت هذه المكتبات مئات الألوف من الكنوز من الكتب القيمة. ومن أهم هذه المكتبات نجد:

1-مكتبة باريس الوطنية (1654م)- Bibliothécaire National de Paris-: من أهم المكتبات الفرنسية على الإطلاق بالنظر إلى قيمة ما تحتويه من**Paris-** : نفائس، فضلا عن العدد الكبير لكل المؤلفات، فهي تحتوي على ستة ملايين من الكتب والمخطوطات منها نحو سبعة آلاف مخطوط عربي بينها نفائس علمية وأدبية وتاريخية ونوادر قلما توجد في غيرها[106]. وقد تنوعت مصادر الكتب لهذه المكتبة منذ بداياتها، فمن أيدي المستشرقين الباحثين، إلى المستشرقين الذين كانت كل مهمتهم البحث عن المخطوطات-التي كانوا عارفين بقيمتها، مثل البعثة التي "أوفدها الوزير كولبر إلى الشرق الأدنى، فابتاعوا لها – أي للمكتبة الوطنية 630 - مخطوطا"[107]، ذهابا إلى مخطوطات مكتبات الأديار والكنائس وما أرسله نابليون بونابرت من حملته على مصر (320) مخطوطا. وهكذا تجمعت في هذه المكتبة أعداد كثيرة من المخطوطات العربية القيمة من أقدم العصور، ففيها قطع من القرآن على الرق من القرون الثاني والثالث والرابع الهجري، وكذا بعض الكتب الشهيرة لعلماء مسلمين معروفين، كالمدخل الكبير في أحكام النجوم لأبي معشر البلخي(325هـ) وكتاب الكنى والأسماء للدولابي(381هـ)، وكتاب الخراج ليحي بن آدم القرشي (489هـ)، ومقامات الحريري، وهي مزدانة بأروع الصور (619هـ). ونسخة كاملة من نزهة المشتاق الإدريسي [108].

وقد صاحبت هذه المخطوطات كما ذكرنا محاولات عديدة لفهرستها وتبويبها وضبطها لتسهيل الإطلاع عليها من قبل باحثي الأجيال اللاحقة. من بينها مصنف- هربلو -: المكتبة الشرقية أو المعجم العام"[109]. في بضعة مجلدات (باريس 1657 م والطبعة الثانية 1738 م). ومصنف للبارون دي سلان بعنوان: "فهرس المخطوطات العربية والسريانية في مكتبة باريس الوطنية"[110] في أربعة أجزاء يصف فيه4665 مخطوطا عربيا يتناول عنوان الكتاب واسم مؤلفه بالعربية، ثم مزايا المخطوط ونوع الورق والحجم وتاريخ النسخ وعدد الصفحات والسطور في كل صفحة بالفرنسية، والفهرس متقن يعتمد عليه لقلة الغلط والسهو فيه [111]. وهذا دليل جميل على الدقة والتفاني اللذين كان يتميز بهما قسم كبير من المستشرقين في عملهم عامة .وليس هذا إلا غيضا من فيض من جملة الفهارس التي تجشم جمع المستشرقين تدبيجها وتحبيرها، فالمتصفح للبحوث والكتب الإستشراقية – القديمة خاصة –

---

106 الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، أحمد درويش، ص22-23.

107 المرجع نفسه، ص23.

108 المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، ص142.

109 المرجع نفسه، ص143.

110 المرجع نفسه، ص 143.

111 المرجع نفسه، ص 143.

قد قدم عملا واحدا على الأقل، سواءا كان مستقلا في ذاته، أو تتمة لعمل غيره، في مجال فهرست المخطوطات وتبويبها ووصفها وكتابة مقدمات حول تاريخها وما إلى ذلك من معلومات قد يراها الباحث قيمة مفيدة بالنسبة لعمله، وتضم مكتبة باريس الوطنية، عدا المخطوطات النفيسة والكتب التراثية النادرة "نوادر النقود والأوسمة والأختام والخرائط " [112] وعددا كبيرا مما يشبه ذلك من الكنوز التاريخية.

2-مكتبات المعاهد و الجامعات:

وفيها يجد الباحث نصيبا قيما من المخطوطات والكتب الثمينة، ولا عجب في ذ لك إذا علمنا أن قيمة هذه الكتب النادرة تدفع أي مؤسسة تربوية ثقافية إلى محاولة اقتناء ما يمكن اقتنائه منها، إضافة إلى دفع منتسبيها إلى البحث عنها وفيها وغرس حب هذا المضمار فيهم وتشجيعهم على الغوص فيه من خلال كل الوسائل المتاحة،ومنها – أي مكتبات المعاهد -نجد:

1-مكتبة ستراسبورج :صنف فهرس مخطوطاتها العربية جوليوس أوتنج* (1877م).

2-مكتبة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية :صنف فهرس مخطوطاتها الشرقية لامبرخت* (1897م).

3-مكتبة أفينيون : صنف مخطوطاتها العربية شارل بيلا* (1944م).

4-مكتبة الجمعية الأسيوية في باريس: صنف فهرس مخطوطاتها العربية جورج فايدا (المجلة الأسيوية: العدد 238 سنة 1950م).

هذا و يشير نجيب العقيقي في كتابه المهم " المستشرقون" أن فرنسا – في زمن طبعه لكتابه و بعده - والحكومة الفرنسية عنيت ولا زالت بوضع " فهرس شامل لجميع المخطوطات العربية في سائر مكتبات فرنسا، هذا عدا فهارس المخطوطات الشرقية في مكتبات الجامعات والمعاهد والمؤسسات الخاصة والعامة " [113].

*المكتبات الخاصة [114] : ونحن هنا نقصد المكتبات التي كانت بمعية المستشرقين وملكا لهم، وكذا مكتبات رجال الدولة و غيرهم ممن كانت لهم القدرة على اقتناءها . وقد قام كثير من المستشرقين والكبراء في الدولة بوهب قسم كبير من هذه المكتبات الخاصة للمكتبة الوطنية بباريس، إلى جانب آخرين قاموا بوقفها كليا على هذه الهيئات والمؤسسات.

---

112 المرجع نفسه، ص143.

113 المرجع السابق، ص144.

114 المرجع نفسه، ص 151/144.

*مكتبات المستعمرات: وهنا سنخص بالذكر مكتبات شمالي إفريقيا التي كانت أغلبها تحت السيطرة الفرنسية والتي نشط فيها المستشرقون الفرنسيون أيما نشاط. وفي التالي أسماء المستشرقين وعناوين فهارسهم التي أتيح لنا العثور عليها في بطون مصادر ومراجع هذا البحث.

دينه باسه: فهرس المخطوطات العربية في مكتبتي فاس (الجزائر 1883م)، ومخطوطات جلفا *(نشرة المراسلات الإفريقية 1884م)، و فهرس مكاتب الزوايا (الجزائر 1886م).

فانيان: فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة مدينة الجزائر الوطنية (في سلسلة الفهرس العام لمخطوطات المكتبات العامة في فرنسا .المجلد 8. 1893م).

روي: فهرس المخطوطات التاريخية المحفوظة في مكتبتي جامع الزيتونة .العبدلية والأحمدية (تونس 1900م).

جورج سالمون :فهرس مخطوطات مكبة خاصة في طنجة (المحفوظات المغربية 1905م).

مايار: فهرس المصنفات المغربية في مدينة طنجة (مجلة العالم الإسلامي.1917م. 1918م).

كور: فهرس المخطوطات في كبرى المكتبات الجزائرية (الجزائر 1907 م).

بلوشه: فهرس البعثة العلمية في المغرب(1909م).

يستنج: المخطوطات العربية في غربي إفريقيا المجلة الإفريقية 1911م-12-13).

ألفريد بول: فهرس الكتب العربية في مكتبة جامع القرويين بفاس (فاس 1918م).

ليفي بروفنسال :المخطوطات العربية في الرباط (باريس 1921م. الرباط 1922م).

بلاشير ورينو: فهرس المخطوطات العربية المستجدة في المكتبة العامة لحمية المغرب 1929م-1930م) وفهرس المخطوطات في المعهد العلمي في الرباط (هيسبريس 1931م).

رينو:المخطوطات العربية المتعلقة بالطب في مكتبة الرباط (نشرة الجمعية الفرنسية لتاريخ الطب 1923م). والفهرس "المزعوم "لمكتبة جامع القرويين بفاس .(هيسبريس.18 . 1934م).

إن كل ما سبق يدلل بطريقة أو بأخرى على مدى اهتمام الإستشراق الفرنسي بعلاقته بالحضارة الإسلامية في جوانبها المختلفة، وبالإضافة لكراسي اللغة العربية التي مهدت للدراسات العربية، وكذا المكتبات العامة منها والخاصة والتي أتاحت الإطلاع على الموروث العربي الإسلامي، نجد عنصرا آخر مهما جدا في إطار التنمية العلاقات المعرفية مع العالم العربي وأدبه وثقافاته، وهذا الرافد الآخر هو المجلات العلمية والخاصة بالإستشراق وبحوثه، فقد أنشأت جمعيات المستشرقين الفرنسيين عددا من المجلات" تعنى جميعها بالعرب في تحقيق تاريخهم وجغرافيتهم وأنسابهم، وبحث أديانهم وشرائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم، ودرس لغاتهم و علومهم وآدابهم وفنونهم"

فاطلعت الغرب على كل ما يتعلق بالشرق في خصائص تطورهم، فألفت مجموعة كونت مكتبة نفيسة فيها زبدة أعمال المستشرقين ، ومن أهم هذه المجلات العلمية نجد:

3-المجلات والدوريات:

1- صحيفة العلمائ (1665م) Le journal Des Savants. Paris : وتصدر عن جمعية العلماء الفرنسيين في باريس كل ثلاثة أشهر، وأغلبها أبحاث تتميز .بالرصانة والتعمق[115].

2-المجلة الأسيوية (1822م) Journal Asiatique: وهي صحيفة أطلق عليها المعربون اسم مجلة، تصدرها الجمعية الأسيوية في باريس .تأسست تحت رعاية دوق أورليان الذي تملك – أصبح ملكا – بعد ذلك بعشرين سنة باسم لويس فليب، وكانت رئاستها للعلامة " سلفستر دي ساسي". تصدر كل ثلاثة أشهر تبحث في العرب تاريخا وجغرافيا وثقافة وفنونا. وقد وصلت أعداد هذه المجلة إلى حوالي330 مجلدا يتراوح عدد صفحات الواحد منها بين 300 و700 صفحة تناولت تراث القارة الأسيوية، خاصة العالم العربي الإسلامي الذي حضي بنحو الثلثين من تلك الصفحات.

وخلال البحث يتضح للباحث كم كانت هذه المجلة الشهيرة شمولية في الدراسة لا تدع مجالا من المجالات المعرفية والحضارية، فمن الآثار إلى الفنون الجميلة إلى الاعتقادات والأساطير،مرورا باللغويات والأدب، وصولا إلى مواد في التصوف والفلسفة والعلوم التطبيقية والرحلات[116].

3-المجلة الإفريقية (1856م) Revue Africaine. Alger: من أشهر مجلات الإستشراق الفرنسي، عنيت بكل ما يمت بصلة لمستعمرات فرنسا في شمال .إفريقيا في كل جوانب حياتها .كانت تصدرها الجمعية التاريخية الجزائرية في الجزائر [117].

4-المجلة التاريخية (1876م) Revue Historique.Paris: تصدر كل ثلاثة أشهر[118].

5-مجلة تاريخ الأديان (1880م) Revue De l'Histoire des Religions. Paris: تصدر في باريس و هي حولية (تصدر كل سنة) [119].

6-المجلة التونسية (1894م) Revue Tunisienne. Tunis:كان يصدرها معهد قرطاجنة في تونس كل ثلاثة أشهر مرة [120].

---

115 المستشرقون، نجيب العقيقي، ص147.

116 المرجع نفسه، ص 147-148.

117 المرجع نفسه، ص147.

118 المرجع السابق، ص147.

119 المرجع نفسه، ص147.

7–مجلة سيريا (1920م) Syria: **أصدرها ديسو–Dussaud**: كل ثلاثة أشهر مرة من باريس بالإشتراك مع مديرية الآثار في سوريا و المعهد الفني في دمشق[121].

8–مجلة الدراسات الإسلامية (1927م)Revue Des Etudes Islamiques. Paris: صدرت في باريس تحت إشراف ورعاية المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ومشاركة معهد الدراسات الإسلامية في باريس والمعهد الفرنسي في دمشق، كل ثلاثة أشهر مرة". وكانت تنشر في العدد الأخير من كل سنة تبتا بالمصنفات الإسلامية(1927م–1954م) لجميع المراجع. ومختصرا لمحاضرات أساتذة الإستشراق في باريس طوال العام، على أسلوب منظم شامل يحيط بالنواحي. التاريخية والجغرافية في الإسلام إحاطة واسعة[122].

9– نشرة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية في دمشق (1931م) Bulletin Orientales des l'institut français d'études: كانت تصدر في باريس[123].

10–حوليات معهد الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر (1934) Annales de L'institut d'études orientales de l'université d'Alger: كانت تصدر في العاصمة الفرنسية باريس.

هذه أغلب وأهم المجلات والنشرات التي مثلت الإستشراق الفرنسي في علاقته بالعالم العربي الإسلامي على أنها لا زالت هناك الكثير منها لم نذكرها مثل نشرة الدراسات العربية (1941م). وكذا مجلة العربية" أرابيكا" (1954م)، ثم مجلة الأدب المقارن (د.ت)، وغيرها كثير لا يتسع المقام لذكرها جميعا.

كل هذه الأدوات والآليات المادية والمعنوية مثلت ولازالت تمثل قنوات عبور معرفة العالمين العربي والإسلامي إلى الضفة الأخرى، وبعضها لا زال إلى يومنا هذا يواكب المتغيرات الاجتماعية والثقافية ولا زال ينشط و يصدر ويؤلف، حتى في ظل الجدل الحامي حول نهاية الإستشراق من عدمه،و المهم في الأمر أن هذه القنوات كانت ولا زالت تحرص من خلال أشكالها المختلفة – الأكاديمية وغيرها -على حيوية الارتباط والعلاقة التي تريدها فرنسا لنفسها مع العرب والمسلمين، سواء كانت هذه العلاقة تتسم بالتوازن في الأخذ والعطاء، أو بنوع من الهيمنة ومحاولة الغلبة على الطرف الآخر وتبرير السيطرة عليه ثقافيا ومعرفيا. وخلاصة القول هنا أن كل هذه القنوات لم تكن إلا دليلا على قوة العلائق التي ربطت – ولا زالت – فرنسا بالعالم العربي وحياته وأهمية هذا التراث العربي – قديما وحاضرا -بالنسبة للغرب عامة ولها خاصة.

وفي الباب التالي سنحاول أن نسوق بعضا من أهم الأسماء في الإستشراق الفرنسي مع لمحة ولو مقتضبة عن أهم أعمالهم التي كانت حول الإسلام وحياة العرب الثقافية،و الاجتماعية والأدبية وغيرها لكننا ارتأينا أن نقوم قبل

---

120 المرجع نفسه، ص149.

121 المرجع نفسه، ص149.

122 المرجع نفسه، ص150.

123 المرجع السابق، ص150.

ذلك بعرض لبعض التواقيت التي نراها فارقة في مسيرة الإستشراق الفرنسي في ارتباطه المبكر بكل ما يرمز للعالم العربي الإسلامي، وهي لحظات تاريخية جاءت نتيجة ظروف معينة لها ملابساتها ودوافعها الخاصة والعامة.

يتراءى للدارس أن المدرسة الإستشراقية الفرنسية كانت سباقة تاريخيا وذات كعب عال وريادة سمحت لها بقطع أشواط كبيرة في مجالات البحث والتحليل والتأسيس لمناهج كان لها أثرها منذ ظهورها إلى الآن، لا على العالم العربي وحده بل على أوروبا والعالم أيضا. واللحظة التاريخية الأولى التي نحاول جلاءها هي إنشاء مدرسة " ريمس – Reims أوائل القرن الحادي عشر الميلادي بأمر من البابا "سلفستر الثاني–Silvestre II" (999م – 1003م) الذي ليس إلا عميد المستشرقين المعروفين، ليس الفرنسيين فقط، بل الأوربيين كافة حسب أغلب المصادر التاريخية المتاحة، "جربردي أورلياك " الذي تتلمذ في مدارس الأندلس على أرباب العلوم في عصره في كل المجالات خاصة في علم الكلام والفلسفة واللغة وعلومها. ولكن كيف ولماذا يمكن لنا أن نعتبر هذه المحطة فارقة وذات تأثير؟. ببساطة لأنها و دائما حسب المصادر التاريخية [124] أول مدرسة أنشئت لتدريس اللغة العربية وعلومها والفلسفة والطب وغيرها، ليس في فرنسا فقط، بل في أوروبا كلها .وبالتالي فإن ظهورها يتخذ مكانا هاما على الساحة التاريخية لأنها رائدة واستمرت في الوجود لمدة طويلة، وكذلك لأن خريجيها ومريديها شكلوا النواة الأولى الأكثر وضوحا لجمع المستعربين والمستشرقين الفرنسيين الذين حملوا على عاتقهم نشر ما تعلموه وبحثه ودراسته وتحليله بغية الوصول بالعلوم التي درجوا فيها إلى مرحلة تمكنهم فيها من قهر الظلام الحالك الذي كان يلف أوطانهم .على أننا لا يحق لنا أن ننظر بهذه البراءة المطلقة لهذا الحدث وهذه المحطة، إذ سيكون ذلك من السذاجة المفرطة، والقول هنا أن قيام هذه المدرسة في ذلك الظرف التاريخي الحساس كان بمثابة تغريدة خارجة السرب، فالوضع على ما كان يميزه من هدوء نسبي إلا أنه كان وضع مواجهة بين الشرق الإسلامي ممثلا في الأندلس خاصة والغرب بصفة عامة. وبالتالي فالعداء كان شديدا لكل ما هو عربي مسلم في شخصه، أو في موضوعه ونسبته. فلا يكون ظهور مدرسة تعنى بدراسة علوم العرب وتدريسها تعليم لغتهم بالأمر البسيط الهادئ، بل إننا نكاد نجزم أنه لولا أن الأمر بقيام هذه المدرسة جاء من أعلى سلطة وهي السلطة الدينية لكان الأمر مستحيلا، ومجددا أيضا نقول أنه لولا أن البابا "سيلفستر الثاني" كان فرنسيا-وبالمناسبة فهو أول فرنسي يعتلى سدة البابوية -ولولا أنه كان من خريجي مدارس الأندلس التي قضى فيها سنينا من عمره لما كان ظهور المدرسة أمرا ممكنا، فتمدرس هذا الرجل هناك أتاح له التعرف عن قرب إلى المجتمع الإسلامي القائم و خاصة في ظل التسامح المتميز الذي كان سمة في ذلك المجتمع، و كذلك فإننا لا نغفل بعض الأهداف من هكذا مدرسة ومن هكذا منهج .فدراسة لغة العرب وعلومهم ليست دليلا على حبهم فقط – هذا إن كان هنالك حب – أو احترامهم على الأقل بل هي دليل قوي على مدى الخوف والتوجس من قوتهم العسكرية والاقتصادية والفكرية الثقافية خاصة والمثل القائل ": من تعلم لغة قوم أمن شرهم "

---

124 بنظر "المستشرقون" لنجيب العقيق، "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر" لأحمد سمايلوفيتش، "الظاهرة الاستشراقية" لساسي سالم الحج، و"المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي" لعبد العظيم الديب.

خير بيان لما نريد بيانه .فلا تكون هذه الدراسة وهذا البحث إلا أداة للمواجهة من باب معرفة الخصم والإطلاع على دقائق أموره التي سوف تكون حاسمة في تعبيد الطريق لمواجهته فكريا وعقائديا قبل مواجهته عسكريا. أما المحطة التاريخية الثانية التي نرى أنه كان لها أثر عظيم في عصرها، وكانت تمثل لحظة فارقة بين ما قبلها وما بعدها، وهي ترجمة القرآن الكريم، أو ترجمة معاني القرآن كما يحب أن يميزها أهل الميدان.و هي في حقيقتها ليست إلا امتدادا لما سبقها من تحضيرات ومن خطوات قطعها الإستشراق بتبات تحت مظلة الكنيسة وبتوجيه منها[125] .

والشخصية المحورية في هذا الحدث هو الراهب والمستشرق " بطرس المبجل- Pierre le vénérable - " (1092م-1156م). رئيس دير "كلوني – Cluny الشهير"[126]. وكان قد زار إسبانيا مرتين واهتم بمراقبة ودراسة أحوال المسيحيين الذين كانوا يعيشون تحت حكم المسلمين في الأندلس وخلال هذهالمشاهدات ومعايشة هذا الواقع وبدافع الغيرة على دينه ومصالح وطنه "استقر رأيه على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بغية فهمه أولا، والرد عليه ثانيا" [127] وتذكر بعض المصادر أنه قصد بعض مدارس الترجمة من العربية إلى اللاتينية لكسب المعرفة التي ستؤهله لعمل ما استقر في نفسه وقلبه[128]، غير أن نفس المصادر تشير في الباب نفسه أنه لم يقم هذه المهمة وحده بل تلقى المساعدة من لدن أهل الاختصاص الأقدم منه والأكثر تحكما منه في مادة الترجمة. وتمت "هذه الترجمة عام 1143م" [129]فكان لهذا الحدث أثر عظيم في مجال الدراسات الإسلامية بأوروبا الغربية. ولقد كان الغرض من هذه الترجمة ظاهرا منذ البداية كما أسلفنا وهو الرد عليه بعد فهمه والإحاطة به. والظاهر أن بطرس هذا كان يعتقد – ضمن ما يعتقده – أن الإسلام ليس إلا هرطقة مسيحية، بل أشد الهرطقات ضررا وأكثرها خطرا على المسيحية. وبالتالي فإن معرفة القرآن والرد عليه بالصورة المناسبة القوية-التي لم تتوفر إلا في أيامه حسب اعتقاده -كان هو الهدف الأسمى من ترجمته، إضافة إلى هداية المسلمين – بزعمه – إلى محاسن المسيحية وردهم عن غوايتهم التي هم فيها، دون إغفال عمله على حماية " ودعم إيمان المسيحيين السذج الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم " [130]. ومنه نرى أن هذه الترجمة، وهي الأولى للقرآن الكريم من العربية إلى اللاتينية كانت بمثابة حجرأساس لما تلاها فيما يخص الدراسات الإسلامية في أوروبا وبالتالي فإنها كلحظة تاريخية تحتفظ بكامل حيويتها وعنفوانها.

واللحظة الهامة الثالثة هي بلا شك ترجمة قصص " ألف ليلة وليلة "للغة الفرنسية في القرن الثامن عشر الميلادي .وبالأحرى مطلعه فما بين سنتي1704م و1708م قام أنطوان غالان، المستشرق والرحالة الفرنسي -قليل

---

125 الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن براهيم، ص 53-89.

126 الظاهرة الاستشراقية، ساسي سالم الحاج، دار المدر الإسلامي، ط1، 2002م، ج43/1.

127 المرجع نفسه، ص44.

128 المرجع السابق، ص44.

129 المرجع نفسه، ص 44.

130 المرجع نفسه، ص 45.

الشهرة آنذاك -بترجمة الأغلب الأعم من مخطوط لألف ليلة وليلة تأتى له خلال أسفاره وبالضبط في بلاد الشام)هناك من يؤكد أن صديقا حلبيا هو الذي أهداه له[131]. (وليس هناك عمل أثر في الأوربيين عام ٠ة تأثير هذه القصص فيهم لدرجة رفيعة لا يمكن تخيلها .فصارت " ألف ليلة وليلة "أكثر ما تداوله القراء من كتب، وسعى أدباء فرنسا لمحاكاتها والاقتباس منها للمسرح وغير ذلك من فنون الأدب المعروفة، ومما ساعد على ذلك عدى عن كونها عملا غاية في الروعة والبهاء -ظن الجميع في ذلك العصر بأن هذا المخطوط وقصصه بما تشتمل عليه من حوادث وخوارق وغرائب تطوق الخيال المجنح حتى، هي الصورة الصادقة المجتمع العربي الشرقي، وأوضح انعكاس لعاداته وأخلاقه، أفكاره وأديانه وشعوبه وأساطيره وخرافاته، وأوضح وصف لتكوين الإنسان العربي والمسلم الفكري والاجتماعي والنفسي سواءا كان من الخاصة أم من عامة الناس. وبالتالي فإن " ألف ليلة وليلة "هو الشرق "ومن قرأها .فكأنه رحل إليه فسمعه ورآه ولمسه لمس اليد "[132] كان لهذه المحطات، كل حسب زمانها، تأثير بالغ في مجرى الأحداث بين الشرق والغرب وتأثير كبير كذلك في تكوين الصورة النمطية التي تخدم مصالح الغرب عن الشرق وحياته .والذي يهمنا أكثر في هذه المحطات هو أنها كانت من صنائع الإستشراق الفرنسي ورجالاته، والذي يثبت بدوره علو كعب هذه المدرسة الإستشراقية المتميزة منذ بداياتها إلى الآن.

والآن نعرض لبعض أهم المستشرقين الفرنسيين الذي غصت بهم وبأسمائهم وأعمالهم بطون الكتب التي بحثت في تاريخهم وقامت بتحبير سطور وصفحات حولهم سواءا بالمديح أو بالذم، أو بالدرس والتحليل الموضوعي الرزين الذي يكافئ المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

د-أهم المستشرقين الفرنسيين:

1-جربيردي أورلياك (Gerbert de Aurillac) [133]: 930م-103م: يتفق أغلب الباحثين في تاريخ الإستشراق أنه أقدم من مثل الإستشراق المعروف حاليا، وهو حوالي "Aurillac بذلك عميد المستشرقين عامة و الفرنسيين خاصة، ولد في: أورلياك وبعد ذلك ذهب إلىSaintGérault سنة 1930 م، نشأ في دير للقديس جيرو الأندلس وتلقى من علماء العرب المسلمين علوم الهندسة والميكانيكا والفلك وسائر العلوم المعروفة في ذلك العصر.يعزى إليه إدخال الأرقام العربية إلى فرنسا .وبعد تقلبات كثيرة في دهاليز السلطة بين الكنيسة وقصور الحكام قاده قدره لينتخب سنة 999 م بابا للكنيسة الكاثوليكية في روما.

ويعد أوّل بابا من أصل فرنسي .توفي سنة 1003 م، ولا يعرف في أعمال جربير مؤلفات وبحوث في اللغة العربية أو علومها، إلا أنه ورغم هذا له الفضل الأوّل في دخول العلوم العربية إلى العالم الأوروبي المسيحي، كما

---

131 الإستشراف الفرنسي والأدب العربي، أحمد درويش، ص 28.

132 المستشرقون، نجيب عقيقي، ص156.

133 موسوعة المستشرقين عدب الرحمن بدوي دار الفكر العربي، ط1، 1996م، ص125.

شجع على الترجمة من العربية إلى اللاتينية، ويكفيه فخرا أنه يسّر لأوروبا بكاملها الالتفات إلى كنوز الحضارة العربية الإسلامية التي ساهمت في قيامها من سباتها.

2-بطرس المحترم (Pierre le Venerable) 1092م-1156م[134]: رجل دين ولاهوتي فرنسي، تدرج في سلك الرهبنة منذ نعومة أظفاره حتى صار وهو في الثلاثين من عمره رئيسا لدير كلوني « ABBE DE CLUNY » وإلى جانب اشتغاله بالعمل الكنسي فقد كانت له علاقات متميزة برجال السياسة والحكم في عصره أتاحت له الاستفادة من مكانة محترمة وذات شأن بينهم، غير أن الذي يهمنا أكثر في هذا الباب ليس علاقاته برجالات عصره، بل هو إسهامه في الدراسات الإستشراقية عن الإسلام والمسلمين، وليس علينا هنا أن نبحث كثيرا فالرجل لم يترك أعمالا كثيرة مؤلفة تشهد له بطول الباع في التأليف بل هو عمل واحد لا غير كان الأول والرائد في مضماره هو "ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية"، وقد باشره وأتمه خلال مقامه في الأندلس بمعاونة من بعض المسيحيين من " مدرسة المترجمين من العربية إلى اللاتينية "في طليطلة وانتهى من هذه الترجمة سنة 1143 م، وهي تعد " أول ترجمة إلى اللاتينية للقرآن كله من اللغة العربية، واستمرت معتمدة في أوروبا حتى نهاية القرن السابع عشر "توفي بطرس "المحترم "أواخر سنة 1156 م بفرنسا.

3-غيّوم بوستل (Guillaume Postel)[135] : يختلف العقيقي وعبد الرحمن بدوي (أهم من ترجم للمستشرقين من الباحثين والدارسين العرب) في تاريخ ميلاده فالعقيقي يشير في ترجمته إلى 1505 م كتاريخ ميلاد "بوستل"، في حين أن عبد الرحمن بدوي يقول أن ميلاده لا يكون إلا سنة 1510 م، وهو الرأي الذي تؤيده المعلومات العامة في الموسوعة الإلكترونية العالمية "ويكيبيديا" « Wikipédia » حين يشار إلى سنة ميلاده على أنها 1510م في مدينة تدعى "دولري" « DOLERIE ». تميز منذ صغره بقدرة فائقة على تعلم اللغات والتحكم فيها، تعلم في باريس اليونانية والعبرية ،ثم أتبعهما بتعلم الايطالية الاسبانية والبرتغالية، وهو الشيء الذي هيئ له مكانه مقربة من أهل السلطان، إذ نجده يذهب مبعوثا من طرف الملك الفرنسي "فرانسو الأول « françois 1ER » إلى الشرق لاقتناء مخطوطات ونسخ ثمينة من الكتب العربية خاصة والشرقية عامة وزوده لأجل ذلك بمال كاف وتوصية عالية المقام، وأتاح له هذا العمل السفر والتجوال بين أنقرة عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك، وباقي الحواضر العربية كدمشق وبيروت والقاهرة، قبل أن يعود إلى باريس أين أصبح أستاذا في " الكوليج دو فرانس collège de France سنة 1539 م، وأصبح سنة 1551 م أستاذا للرياضيات في جامعة باريس وأصبح محط إعجاب الكثيرين من طلاب إلى شخصيات عامة إلى رجال الدولة. بعد ذلك بقليل لبى طلب ملك النمسا آنذاك وانتقل إلى فيينا ليصبح أستاذا للغة العربية واليونانية سنة 1552 م، وبعد مسيرة طويلة عاش

---

134 المرجع نفسه، ص178.

135 المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، ص158.

فيها ذروة المجد و ذروة الإحباط، وبعد سنوات أخيرة تميزت بتقلبات عاصفة أحيانا توفي" غيوم بوستل "سنة 1581 م بفرنسا مسقط رأسه من أهم آثاره نجد:

"حروف هجاء اثنتي عشرة لغة 1538 "م،" قواعد اللغة العربية 1539 "م" .اللغة العربية والفينيقية 1553 "م– "عادات وشريعة المسلمين 1560 "م،" وصف القاهرة "سنة 1952م، وقد نشر الكتاب الأخير تحت إشراف آنجيلا كوداتزي.

4–هربلو، بارتيليمي D'herbelot (1652م–1695م) [136]: مستشرق من الرعيل الأول، ولد في باريس وفيها تعلم اليونانية واللاتينية ودرس الفلسفة وغيرها من العلوم العقلية لكنه لم يترك تعلم اللغات فانكب على تعلم العبرية والسريانية والعربية والفارسية والتركية .ارتحل بعد ذلك إلى روما حيث زار جامعتها ومطبعتها الشرقية ونال رعاية كبراء الدولة هناك حيث عاد محملا بنصيب وافر من المخطوطات العربية القيمة عند عودته إلى وطنه عمل في ديوان وزير مالية فرنسا ثم مترجما من اللغات الشرقية في "معهد فرنسا Collège de France" حتى وفاته في الثامن من ديسمبر سنة 1695 م .من أهم آثاره التي خلفها نجد "المكتبة الشرقية "وهي " دائرة معارف في بضعة مجلدات مرتبة على حروف المعجم تبحث في علوم الشرقيين وتاريخهم وآداهم...وغيرها."ورغم أن هربلو اشتغل أثناء تدريسه على اللغات الشرقية وغيرها، إلا أنه وكما اتضح لنا وفر كل جهده لمؤلفه السابق الذكر الذي وهبه وقته وماله وجهده حتى أتمه .ولم يتسنى له نشره لأن المنية وفته في الثامن من ديسمبر سنة 1695 م .فقام " أنطوان جالان « GALLAND »بمهة نشرة بعد وفاته سنة 1697 م في باريس.

5– أنطون جالان Antoine Galland (1646م–1715م) [137]: ولد مدينة فرنسية اسمها "رولو – Rollo" في شمال شرق البلاد، عاش يتيم الأب منذ سنه الرابعة، لكن أمه تولته بالرعاية وقامت على تعليمه فبدأ يتعلم اللغات الشرقية والعربية من بينها .ورغم انقطاعه فترة من الزمن إلا أنه عاد إلى طريق الدرس والبحث، فسافر إلى باريس حيث كانت فرصته في صحبة سفير فرنسا في تركيا" دونوانتيل– "De Nationtel" الذي أصاب معه حظا عظيما في تعلم اللغة التركية والعربية وتحصيل مجموعة مهمة من المخطوطات العربية صار عضوا في " أكاديمية النقوش "سنة 1701 م، وسنة 1709 م عين أستاذ اللغة العربية في معهد فرنسا الشهير.توفي" جالان "في السابع عشر من فبراير سنة 1715 م، له بعض الأبحاث مثل":كلمات مأثورة عن الشرقيين" باريس 1694 م وبحوث عن العملات والنقود، لكن ما يخلد اسم" جالان "فعلا في سجل المستشرقين خاصة، هي ترجمته لكتاب " ألف ليلة وليلة "والتي تعد الترجمة الأولى لهذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية وسبب معرفة أوروبا كلها بهذه الحكايا المدهشة.بدأ جالان هذه الترجمة في حياته منذ سنة 1704 م واستمرت في الظهور حتى بعد وفاته لغاية سنة 1717 م.

---

136 المرجع السابق، ص159.

137 المرجع السابق، ص160.

6- سلفستردي ساسي Antoine Isaac Silvestre de Sacy (1758م- 1838م) [138]: شيخ المستشرقين، رائد الإستشراق الفرنسي ورافع رايته" أبو الاإستشراق الحديث ومنشئ علم الإستشراق في أوروبا "، كلها ألقاب تحيل إلى شخصية البارون دي ساسي الذي يحتل مكانة لم يبلغها مستشرق فرنسي لا قبله ولا بعده.ولد دي ساسي في 1758م لأب كان محرر عقود كاتب عدل(،و يسوق بعض /12/ باريس في21 الدارسين لتاريخ الإستشراق أن سبب تعلق واتجاه دي ساسي إلى الدراسات العربية والشرقية عامة هو شخص اسمه جورج فرانسوا بيرتيريو،و هو الذي يظن أنه أخذ بيد دي ساسي لتعلم العبرية والعربية ولم يكن دي ساسي متجها للغات الشرقية فقط، لكنه إلى جانب ذلك أدرك حاجته لتعلم اللغات الأوروبية مثل الألمانية والايطالية والانجليزيةوالأسبانية التي أخذ في دراستها والتمكن منها لزيادة ثقافته من جهة، ومن جهة أخرى لزيادة فرصته في الحصول على عمل محترم يوفر له حياة كريمة لائقة به وبطموحاته .سنة 1778م تم تعيينه من طرف الملك واحدا من ثمانية أعضاء ضمن جمعية لنشر كنوز المخطوطات الشرقية لمكتبة باريس الوطنية، ولم يتوقف الأمر هنا حيث عين بعد ذلك بثلاث سنوات سنة 1781 مستشارا في ديوان النقود الملكي، وفي سنة 1785 م عين عضوا حرا في مجمع النقوش والآداب ثم حافظا للنقود ومفوضا في أمرها سنة1791 م.

غير أن الثورة الفرنسية المندلعة سنة 1796 تسببت في توقف نشاطه، وانزوى في أحد ضواحي باريس بين أفراد عائلته و مع بحوثه، واستمر الوضع على ما هو عليه حتى خمود الثورة حيث ومباشرة بعد تأسيس وإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795 م التي أنشئت بقرار من مجلس الثورة -أو الجمعية الثورية -أنشئ ضمن ما أنشئ كرسي للغة العربية، وعين دي ساسي الذي أصبح سلفستر ساسي فقط، أستاذا للعربية فيها مع بداية سنة 1796م .ثم انتخب عضوا في الهيئة التشريعية لمقاطعة" السين « La seine » سنة 1808 م، ولقربه من مراكز ضع القرار في زمنه والمكانة التي كان يتمتع بها، منحه نابليون لقب "البارون" Baron سنة1814م ضمن عديد من الشخصيات الأخرى، استمر نشاط" دي ساسي -"الذي استعاد درجة النبالة في زمن بابليون -ولم يتوقف قط، فمن التدريس إلى البحث والتحليل والمشاركة في الندوات، هذا إضافة إلى المناصب الإدارية التي كان يتقلدها بين الحين والآخر، لكنه رغم هذا وذاك لم يكن يتكاسل أويتعذر عن أي عمل فكري يعرض عليه والدليل أنه وعلى الرغم من كافة انشغالاته كان في طليعة محرري " صحيفة العلماء "Le journale des savants" حي عادت إلى الظهور سنة 1816 م وفي سنة 1922 أنشأ بمعية تلاميذه ومريديه " الجمعية الآسيوية " Journal Asiatique" التي لا تزال من أهم المجلات الإستشراقية قاطبة.صار دي ساسي مديرا " للكوليج دو فرانس "سنة 1823م.توفي " سلفستردي ساسي "في 14 فبراير سنة 1838 م بعد حياة حافلة بالعطاء المتواصل والنشاط الدءوب.

---

[138] المرجع السابق، ص126.

إن الحديث عن دي ساسي وحياته يطول ويطول، وكذلك الحديث عن آثاره ومؤلفاته يطول بطول مشواره الحافل الذي لم يقتصر على المجال العلمي ، وإنما تعداه إلى المجال السياسي ومراكز اتخاذا القرار.

ظل البارون دي ساسي طول حياته – ورغم كثرة انشغالاته خاصة في أواخر حياته-على صلة وثيقة بالعلم ومجالاته، فمن دروسه إلى البحث والتحليل والتأليف، إلى إلقاء المحاضرات والمشاركة في الجمعيات والمؤتمرات .تآليف دي ساسي تنوعت موضوعاتها تنوع اهتماماته، فلم يقتصر على مجال مفرد بعينه، وفي الأسطر التالية سنوجز بعض أعماله المهمة، وهي أعمال تراوحت بين اللغوي والتاريخي والجغرافي مما يبين بصفة جلية مدى موسوعية هذا الرجل وتنوع مجالات اهتمامه، فنجدله مثلا كتاب" الأنيس المفيد للطالب المستفيد "وهو عبارة عن مختارات من أدب العرب وأشعارهم (1806م 1826)، ترجمة " البردة للإمام البوصيري(1806م) تلخيص كتاب الخطط للمقريزي(1797م) وكتاب" التحفة السنية في علم العربية "في جزأين، ترجمة" تاريخ الساسانيين "لميرخوند.

كما نجده نشر بمعاونة ديلابورت " مباحث جغرافية عربية من إفريقيا(1821م)، وله" دراسات عن أصل ألف ليلة وليلة) "(المجلة الآسيوية1827م-1828م)، كما كان لدي ساسي وصف لبعض المخطوطات المهمة مثل":البرق اليماني في الفتح العثماني" للشيخ المكي، و" الكواكب السائرة "للشيخ أبي السرور.كما نجد له بحوثا ودراسات منتشرة في صفحات المجلة الأسيوية التي كان من أهم مؤسسيها والعاملين بها، وله فيها" :

حول النقود الإسلامية 1823) "م(، وكذا" دراسة الشعر العربي 1826) "م.(هذه كانت بعض اللمحات عن أعمال سيلفستردي ساسي الذي عاش في خدمة علمه والتأسيس له مع بذل كل ما يستطيع للوصول به إلى أهدافه وغاياته المنشودة، وإن كان لنا أن نبدي رأينا في الرجل، فإن أهم ما يثير الإعجاب به هو ذلك النهم غير العادي لحب المعرفة وذلك النشاط الدءوب من غير كلل أو ملل والذي دفع به ليصبح بحق كما قال أبو القاسم سعد الله" أب الإستشراق الأوروبي الحديث."

7- إرنست رينان (1823م- 1892م) [139] **Ernest Renan**: المعروف فيلسوفا أكثر منه مستشرقا متخصصا.ولد في مدينة تريجيه من مقاطعة بريتانيا LA BRETAGNE . كانت نشأته في المدارس اللاهوتية التي برز فيها . وفيها كان احتكاكه الأول باللغات والثقافات الشرقية . فنبغ في اللغات الشرقية نبوغا بوأه أن يكون من ثقافات ومعدوديها.رحل إلى المشرق العربي وكان استقراره بلبنان، كان رينان مهتما بالعقائد الإسلامية وهي صيغة مشتركة بين أغلبية المستشرقين تقريبا.أنتخب رينان عضوا في المجمع للغوي الفرنسي سنة 1878 م توفي سنة 1892 م .يعتبر رينان من أهم المفكرين الإستشراقيين الفرنسيين وليس أدل على مدى أهمية و تميز ارنست رينان مما قاله، إدوارد سعيد في كتابه " الإستشراق "في الفصل المخصص" لسلفستر دي ساسي ورينان "وهو ما مفاده أنه ورغم أن حضور دي ساسي العلمي والفكري كان طاغيا في زمنه لدرجة أن كل عمالقة الإستشراق من بعده يدينون له

---

[139] نجيب العقيقي، المستشرقون، ص191.

ويظلون سائرين على منهجه وأسلوبه،إلا أن رينان في حد ذاته كان يمثل نهجا خاصا وفكرا مستقلا – حتى وإن كانت له اتفاقاته مع دي ساسي - وهو أمر يثير إعجاب أدواره سعيد ويستجلب ثناءه وذلك التميز هو الذي ضمن حسب البعض بعض التوازن من خلال الاختلاف الذي يخلق التنوع الثقافي والفكري.

تنوعت آثار ومساهمات ارنست رينان بين الترجمات والتعاليق والتآليف التاريخية (1852-1869م)، "تاريخ اللغات - ومن أهمها نجد كتاب " ابن رشد والرشديين (1853م-1862م)، وكذا كتاب " تاريخ الأديان (1857م) وكتاب تقدم الآداب الشرقية(1866م)، كما نجد له مساهمات من خلال مقالات في المجلة الآسيوية أهمها":طابع الشعوب السامية (1859م). توفي إرنست رينان عن عمر يناهز 69عاما سنة1892م.

8-لويس ماسينيون (1883م-1962م) Louis Massignon[140]: ولد في نوجان على المان، إحدى الضواحي الباريسية، كان لوالده-المعروف في الوسط الفني آنذاك -فضل كبير في توجهه نحو المجال الإستشراقي إذ هو الذي بفضله كان لقاؤه بشخصية مثل الأب ميشال دي فوكو وغيره ممن كان لهم أثر في محبته للمجال السالف الذكر.

تحصل لويس الشاب على الشهادة التوجيهية – ما يعادل الثانوية – في فرنسا سنة 1901م، ثم ليسانس الآداب من جامعة الجزائر سنة 1902 م، كما تحصل على دبلوم الدراسات العليا عن بحثه الذي قام به عن المغرب سنة 1904 م،قبل أن يكون على موعد مع حدث هام سيكون له أثره في تحديد مستقبله وتوسيع آفاقه الشخصية والعلمية، وهو انعقاد المؤتمر الرابع عشر المستشرقين الذي أقيم في الجزائر سنة 905م، وهناك كان تعرفه على أعلام المستشرقين المعروفين والمعدودين مثل جولد زيهر، ولي شاتلييهن وسنوك هرجرونيه، هؤلاء الذين سيصبحون أحب وأقرب أساتذته إليه.

بعد سنة 1906 م وحصوله على الدبلوم (الإجازة) في اللغة العربية فصحى وعامية، باشر حياته العملية اثر التحاقه بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، وهو ما جعله يتعامل مع الآثار الفرعونية من جهة، والآثار الإسلامية خاصة من جهة ثانية .جال لويس ماسينيون في الوطن العربي كثيرا – وهو دأب المستشرقين عموما - خاصة في المشرق منه، فزار بغداد والقاهرة ودمشق وبيروت والمغرب والجزائر وتونس وغيرها من الدول والمدن الأخرى لأسباب متعددة وإن كانت في أغلبها معرفية بحثية.

حياة ماسينيون العلمية كانت حافلة فبعد تعيينه أو التحاقه بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة 1906م، نجده وبعد سنوات من ذلك ينتدب أستاذا لتاريخ الفلسفة بالجامعة المصرية (1912م-1913م)، وبعد طوافه بين الجزائر والحجاز والقدس الشريف، رجع إلى باريس وعين معيدا في كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا الشهير Collège de France- سنة (1915م-1916م). سنة 1922م كانت سنة حصوله

---

[140] المرجع السابق، ص 263.

على الدكتوراه عن رسالته الموسومة" آلام الحلاج"،و قبل ذلك بقليل كان قد تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي(1919م) ثم مجلة الدراسات الإسلامية التي حلت محل الأولى سنة (1927م). ومنذ سنة 1926 م عمل أستاذ كرسي في معهد فرنسا ثم مديرا للدراسات في المدرسة العملية العليا حتى تقاعده سنة 1954 م. أنتخب ماسينيون في عدة مجامع علمية نظرا لغزارة علمة وموسوعية معرفته، فكان عضوا في الجمعية الأسيوية، وفي امجمع اللغوي بمصر، والمجمع العلمي العربي في دمشق.كان ماسينيون من أنشط المستشرقين في عصره وأعمقهم تجربة وأكثرهم بحثا وتأليفا خاصة في الشؤون الإسلامية والإسلام بصفة عامة والذي عد- أى ماسينيون -مرجعا له في الغرب .وهذا ما يفسر مدى كثرة آثاره وتنوعها، والتي تنوعت وزادت على650 أثرا بين مؤلف ومحقق ومترجم ومقال..إلخ.

وفي التالي موجز لبعض آثاره المهمة :جغرافية المغرب (1906م)، الأولياء المسلمون المدفونون في بغداد (1908م). آلام الحلاج ومذهب الحلاجية(1909م) - الحلاج والشيطان في نظر الزيدية (1911م) _ تاريخ المصطلحات الفلسفية بالعربية- والكنيسة الكاثوليكية والإسلام (1915م)،كما نجد له مقالات في مجلة العالم الإسلامي:

دراسات عن مخطوطات مكتبات بغداد(1909م). تاريخ العقائد الفلسفية العربية (1912م)- أصول عقيدة الوهابية، وفهرس بمصنفات مؤسسها(1918م-1919م)- العناصر العربية وأسرار الإستشراق (1924م). وغيرها كثير جدا لا سبيل لحصره ولكنه جزء يسير يثبت التنوع والوفرة الذين تميز ما إنتاج لويس ماسينيون الفكري.توفي في الخامس من أبريل سنة 1962 م.

9- جاك بيرك (1910م-1995م) Jacques Berques[141]: فرنسي مولود بالجزائر بمنطقة فرندة سنة 1910م، كانت نشأته في فرنسا حيث زاول دراسته هناك حتى تخرجه.

شغل جاك بيرك عدة مناصب في حياته سواء العلمية أو الإدارية، إذ نجده يعين مديرا لقسم للبحوث الفنية والتجريبية في معهد في مصر(1953م-1954م)، ثم بعد ذلك مشرفا على مركز للدراسات العربية في لبنان (1955م) قبل أن تكون عودته لفرنسا حيث صار أستاذ كرسي التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا، ثم مديرا لمعهد الدراسات العليا (Collège des études Supérieures). توفي بيرك في السابع والعشرين من جوان صيف1995 م في منطقة "سان جويليان أون بورن Saint Julien en borne".

من أهم ما خلف جاك بيرك نجد :دراسات في التاريخ الريفي المغربي (1938م). وثائق عن تاريخ المغرب الإجتماعي (1948م). النظم الاجتماعية في الأطلس الأعلى (1955م)- توقعات للإستشراق الحديث (1975م)، كما نجد له تآليف أخرى مثل: الإسلام من الأمس إلى الغد (1965م)، مشاكل الثقافة العربية

---

[141] المستشرقون، نجيب العقيقي، ص336.

المعاصرة (1965م) والمجتمعات والأدب العربي المعاصر (1964م). الإسلام والإشتراكية (1967م). وأخيرا وليس آخرا بعض البحوث مثل :نحو ثقافة عربية معاصرة (1972م) واللغة العربية من الإنسان إلى التاريخ (1967م) وهي -أي كل هذه الآثار -متنوعة بين كتب مفردة ومقالات موزعة في صفحات االمحلات المتخصصة، وبحوث ومحاضرات ألقيت في ندوات ودروس تم طبعها بعد ذلك.

10- شارل بيلا Charles Pellat (1914م-1992م) [142]: ولد في الجزائر وبالتحديد في ولاية سوق أهراس سنة 1914 م، وعاش سني طفولته الأولى هناك قبل أن يستقر مع عائلته بالمغرب سنة 1924 م أين تلقى دروسه الثانوية الأولى بالدار البيضاء، حصل على البكالوريا الجزء الأول سنة 1931 م،ثم الثاني رياضيات (1932م). عاد إلى فرنسا وهناك حاز ليسانس اللغة العربية من جامعة بوردو Bourdeaux (1933م-1935م) ثم عاد إلى المغرب في ذات السنة (1935م) ليحصل على شهادة العربية من معهد الدراسات المغربية العليا، ثم شهادة لغة البربر سنة 1938 م من جامعة الجزائر، ثم أخيرا إجازة الأستاذية بالعربية، وشهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس (1946م-1950م).

كان شارل بيلا على غرار كبار المستشرقين ذا همة عالية ونشاط بالغ في عمله وبحثه، عمل أستاذا في مدينة مراكش المغربية 1934) م 1935 -م.(وأستاذا في مدرسة اللغات الشرقية الشهيرة 1951) م 1956 -م(، ثم مديرا لقسم الدراسات الإسلامية في 1972م .(وقد قاده علمه - Paris Sorbonne (جامعة باريس - السوربون ومكانته المعرفية المميزة إلى العديد من المناطق في العالم مثل السنغال والمغرب ولبنان وسوريا والعراق والهند وباكستان لإلقاء دروس أو المشاركة في مؤتمرات وندوات متنوعة.

حينما نذكر شارل بيلا فإننا بطريقه أو بأخرى نذكر الجاحظ الذي كان محط اهتمام مستشرقنا وإن لم يستأثر به كله، إلا أنه حظي بمكانة خاصة في رحلته العلمية حتى عد بيلاّ "مترجم وباحث الجاحظ الأول في فرنسا خاصة و في الغرب عموما .توفي سنة 1992 م في فرنسا بعد حياة حافلة جدا بالبحث والدرس والتأليف، وليس أدل على ذلك من كم الآثار العظيم الذي خلفه والذي يمثل بحق إرثا إستشراقيا مهما.

نجد من أهم آثاره ما ألفه حول الجاحظ خاصة ما نال به شهادة الدكتوراه الدولة: البيئة البصرية ونشأة الجاحظ (باريس 1953م). الإمامة في عقيدة الجاحظ (1961م)- أصالة الجاحظ (1963م). الجاحظ والشعوب المتحضرة والمعتقدات الدينية (1967م) وغيرها عميم حول الجاحظ وفكره وريادته ومكانته الاجتماعية والفكرية،غير أننا زيادة على كل هذا نجده -أي شارل بيلا -قد اهتم بموضوعات أخرى عامة وخاصة نذكر بعضها في التالي :اللغة العربية وحضارتها (1952م)، مراحل انحطاط الثقافة في بلدان الشرق العربي (1957م)-

---

[142] المرجع السابق، ص353.

الموسوعات في العالم العربي (1966م)- الإسلام والتاريخ (1071م). كما نجد :اسبانيا المسلمة في مصنفات المسعودي (1964م)- أصل الإسلام في اسبانيا وتطوره (1962م)- الأدب العربي ومشاكل الأدب المقارن(1967م) وأسطورة شهرزاد في الأدب المعاصر (1972م) إلى غيرها الكثير من المؤلفات المتعددة المواضيع والبحوث والمقالات والدروس التي شكلت ولا زالت زادا معرفيا هاما سواءا للمؤيدين أو للمعارضين.

ونحن وإن ذكرنا هذه القلة من أعلام الإستشراق الفرنسي إلا أننا يجب أن نذكر أنها لا تمثل إلا نسبة قليلة جدا من هذه الفئة، وليس أدل على ذلك من وجود أكثر من خمسين اسما لمستشرقين لا معين في صفحات " موسوعة المستشرقين "لعبد الرحمن بدوي، وأكثر بكثير من هذا العدد في صفحات كتاب نجيب العقيقي المهم جدا من خلالإحاطته الواسعة حيث يذكر أكثر من ثلاثمائة من المستشرقين الفرنسيين اللامعين منهم أوأقل من ذلك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة الإستشراق الفرنسي خاصة في إطار الإستشراق عموما .وليس ذكرنا في هذا المقام لهذه الثلة القليلة من المستشرقين الفرنسيين إلا لإعطاء فكرة عنهم وعن مساهماتهم، وكذا لأن المقام ليس مقام ترجمة في لبه وإنما هو مقام يعطي لمحات موجزة قد تحفز القارئ على النبش والتعمق والتوسع في هذا الموروث الممتع والحساس في آن.

ميادين التأثير الإسلامي على أوروبا

أولا: العلوم الطب والصيدلية

أ- **الطب**: وقد عرفه بن خلدون على أنه صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرضى بالأدوية والأغذية[143]، فقد تأثرت الدراسات الأوروبية إلى حد بعيد بالدراسات العربية، فقد كان كتاب الحاوي للرازي المرجع الوحيد الذي اعترف به في جامعات أوروبا، وقد ترجم "جيرارد" كتاب التصرف لمن عجز عن التأليف "للزهراوي الأندلسي والجزء خاص بالجراحة الطبية، وكتاب "القانون" لابن سينا، وترجم الطبيب الصقلي أبو فرج اليهودي كتاب الحاوي في "علم التداوي" للرازي، وقد بقي كتاب

[143] ابن خلدون، "المقدمة"، ص490.

الزهراوي في الجراحة يستخدم بجامعة أكسفورد حتى القرن الثامن عشر، وأخذ الأوروبيون الكثير من وصفات كتب ابن البيطار الأندلسي[144].

وقد برز عدد كبير من الأطباء كان على رأسهم أبو مروان بن زهر عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر (ت 557هـ/1161م) وتميز من هذه الأسرة ستة أطباء وطبيبة تعاقبوا في التربع على عرش الطب العربي من أوائل القرن الحادي عشر الميلادي حتى أواخر الثالث عشر، وأن الباحث ليذهله ما اتصفت به أسرة بني زهر من شدة التعلق بمهنة الطب، ويتعذر الاهتداء إلى أية أسرة عربية أخرى نبع فيها هذا العدد المتلاحق من مشاهير الأطباء[145].

وقد أشاد "هوميروس" في الأدويس بمهارة الأطباء المصريين، وقال هيرودت غير مرة أنهم كانوا يعالجون أنواع شتى من الأمراض يختص كل منهم بمرض يبرع في علاجه وروى أن "قورش" أرسل إلى مصر في طلب طبيب للعيون، وإن "دارا" كان عظيم الإعجاب بهم كثير الثناء عليهم وكان الإغريق يعرفون اسم "أمحوتب" رب الحكمة في مص القديمة ويسمونه أموتيس، وقد نقلوا عن الطب المصري كثيرا من العقاقير كما نقلوا آلات الجراحة بغير تبديل، وتلقى الإغريق شيئا من الطب الكلداني، كما كان في عصوره القديمة مزيجا من السحر والتعويذ والعلاج.

ثم دارت دورة الثقافة الإنسانية على أتمها في هذه الصناعة التي يحتاج إليها الناس فأعاد الإغريق ما أخذوه وما زودوه إلى المصريين في عهد مدرسة الإسكندرية وإلى الكلدان والسريان في أواخر الدولة الرومانية الشرقية[146].

ومن جهة أخرى فقد كان هناك أطباء اشتهروا منهم الزهرواوي اشتغل بأمراض الكبد[147]، وقام بعمليات جراجية واستخراج الحصاة من مثانة المرأة، وشق القصبة الهوائية، وعالج الشلل الناشئ عن كسر فقرات النخاع الشوكي واعتمد في عملياته على علم التشريح وبرع في تشريح العيون وأمراضها، وكل ما يتعلق بالأنف والحنجرة كما كانت له مساهمة في الجراحة التعليمة، ومعالجة تشوهات الفم والفك وقام بربط الشرايين لمنع النزيف، وقد

---

144 القاسمي جاسم ابن محمد، "تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس"، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002، ص204.

145 دشدش عصمت عبد اللطيف، "الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين" عصر الحقائق الثاني (1116م-1151م) تاريخ سياسي وحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988، ص441.

146 عباس محمود العقاد: "أثر العرب في الحضارة الأوروبية" دار المعارف، مصر، الطبعة 8، ص34.

147 حلاق حسن، "العلاقات الحضرية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (الأندلس، الشام، صقلية)"، الدار الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص289.

ذكر الرازي بالمرضى الذين يشكون من حساسية مرهفة ويعجزون عن تناول الأدوية، فعلق حبوب الدواء بالسكر ومنع الأدوية بعصير الفاكهة والعسل[148].

وفي الوقت الذي كان الأطباء المسلون يتعاملون مع المرضى بكل عاطفة إنسانية تعامل الأوروبيون مع المرضى كالحيوانات الضارية، فكانوا يقصونهم عن المجتمع، ويرمون بهم، في أعماق السجون المظلمة، وكان عزل المرضى عملا حللته الكنيسة، واشترك في تنفيذه رجال الدين، الأمر الذي أدى بالمريض إلى الشعور بأنه جثة ميت حي. ففي فرنسا يمنع المريض بداء الجذام قبل أن تسقط عنه حقوق انتسابه للكنيسة. وحقوقه كإنسان ويذهب بموجبه هذا التعيس إلى حفرة في فصحة الكنيسة ويقذفه الكاهن بالتراب ثلاث مرات ثم ينفى إلى قاعة نائية مخصصة لمرضى البرص، هذا في الوقت الذي كان فيه العرب ينظرون إلى هذه العوارض نظرة عملية بحتة، خرج طبيب في مون سكي 1348م قال أن المريض هو المسؤول عن الطاعون الذي انتشر في ذلك العام، وفي سويسرا ألصف هذا الوباء باليهود فحرق المئات منهم وشبه هذا المرض بالدخان القاتل المنصب من السماء باعتبار الطاعون ناتج عن تأثير الأجرام السماوية، أو عن عضت الله من الأعمال الأئمة[149].

إن التأخر الفظيع الذي عرفته أوروبا يمكن أن تتضح معالمه للوقوف على ما أورده "جورج تات" في كتابه "مشرق وواد الصليبية" عندما تعلق الأمر بالفارس الذي بترت له رجله والمرأة التي رسم فيها رمز الصليب ووضع لها الملح وهذا يدل على ما امتازت به أوروبا من طب تقليدي عنيف، ومن خلال ما تقدم ذكره يتضح أن الأوروبيون خلال العصور الوسطى كانوا يعانون من الجهل.

وقد شهدت الترجمة نشاطا واضحا[150] والتي سمحت للأوروبيين بالإطلاع على علوم العرب المسلمين وبخاصة في ميدان الطب فتأثر بما ألفه هؤلاء ينهلهم من الكتب العلمية ما هم بحاجة إليه، وكذا أخذهم خبرة العرب المسلمين في الجراحة[151]، حيث كانت أبحاث الزهراوي الأساس في الجراحة الأوروبية اللذين أخذوا عنه طريقة ربط الشرايين لإيقاف النزيف، كما أخذوا طريقة قطع اللوزتين التي اعتمدت من طرف الزهراوي، وكذلك جراحة الأسنان وهذا ما استفاد منه " جي دي سموليك"[152].

---

148 Will Durant « La Science Arab » Trident Brill, 1939, p140.

149 زيغريد هونكه، "شمس العرب تسطع على الغرب"، ص274-275.

150 حنصالي خديجة وعمراني مريم، ترجمة الفصل من "Lorient des croisades des George" تخرج لنيل شهادة ليسانس في التاريخ، المركز الجامعي مصطفى استطنبولي، معسكر، 2005.

151 فراج عز الدين، "فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية"، ص150، ينظر اسم ابن محمد القاسي، المرجع السابق، ص3-204.

152 زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص274-275.

كما عرف الغربيون عن العرب الأمراض تشخيصا وعلاجا، ومن أمثلة ذلك أن العرب اكتشفوا أن الماء البارد يوقف النزيف، كما وصفوا القهوة كدواء للقلب والكافور لإنعاشه ولعلاج التهاب اللوزتين[153].

وأهم ما أعجب به الأوروبيين هو النظام لبيمارسانات حتى قيل أن بعض الأصحاء، كانوا يدعون المرضى ليقميوا فيها، مما أدى بالباباوات والأمراء إلى إقامة مستشفيات على نظام البيماسانات العربية، وهذا ما يتضح من خلال تأسيس مستشفيات في أوربا خلال القرن الثالث عشر كمستشفى "سان بيريتو" وأسس لويس التاسع مستشفى وملجأ "لي كادر فان" بباريس بعد عودته من حملته الصليبية[154].

وإذا كانت مدرسة "سال رنو" قد أصبحت أول جامعة للطب في أوروبا، فإن الفضل يرجع إلى الطب العرب والنمط الإسلامي.

ب–علم الصيدلة:

وكلمة الصيدلية ذات أصل هندي، فإن لفظ صيدان معرب من لفظ صيدلاني أو صندل بالهندية وهي العطور المعروفة عند العرب وأهل الهند يستعملونها[155]، يعد علم الصيدلة فرعا من فروع علم الكيمياء وحدثنا التاريخ عن كثير ممن اشتهروا من المسلمين بفن الصيدلة نذكر مهم ابن بيطار وهو أول عالم عربي وألم بخواص النباتات حيث جمعها في كتابه "الجامع الكبير" الذي حوى وصفا دقيقا لألفين منها وكتاب " المغني في الأدوية المفردة" وكتاب "الأفعال العربية والخوص العجيبة".

وابن سينا الذي قسم في كتابه "القانون" الألم إلى خمسة عشر درجة لهذه الأمراض ما يزيد عن سبعامائة وستين دواء[156].

ونبع البيروني من خلال كتابه "الصيدلة" ودمج الزهراوي الطب والصيدلة وخصص ما قاله في كتابه المشهور بحث فيها الأشكال الصيدلانية المعروفة، وهذا في المقالة الثامنة والعشرين أما المقالة التاسعة والعشرين، فقد قسمها لأبواب منها،تسمية العقاقير بخمس لغات، أسماء الأدوية والأجهزة الكيماوية والصيدلية أعمار الأدوية المركبة

---

153 فراج عز الدين، "فصل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبي ، المرجع السابق، ص204.

154 مذكرة ليسانس في التاريخ المركز الجامعي مصطفى إسطنبولي، معسكر، 2005.

155 علي عبد الله الدفاع، "إسهامات علماء العرب في الصيدلة"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص124.

156 ابن خلدون "المقدمة"، ص469.

المفردة لشرح أسماء الأكيال والأوزان مرتبة حسب الحروف الهجائية، كما ألف أبو جعفر الغفاقي كتاب بعنوان "الأدوية المفردة"[157].

وقد أقام العرب صيدليات خاصة حيث أقيمت ببغداد أول صيدلية منظمة لبيع الأدوية، واخضعوا هذه المهنة لمراقبة موظفي حكومي المحتسب، وهذا حرصا على المصلحة العامة. كما استشفوا عمليات التقطير والتشريح والتذويب وغيرها من الطرق التي ساعدت على تطور صناعة الصيدلية على أساس منهجية المشاهدة والتجربة علوا على تغليف حبات الأدوية بغلاف من السكر لجعلها سهلة التناول وأصدر العرب قانون الإجارة لممارسة الصيدلة كما قاموا بمراقبة الأدوية وتفتيش الصيدليات التي احتوت كل مدينة واحدة منها اخترعوا الكحول، والأشربة، المستحلبات[158].

وقد استفاد علماء الغرب من المنهج الذي اتبعه علماء العرب ولا تزال الكثير من أسماء العقاقير تحتفظ باسمها العربي، على الرغم من المحاولات الفاشلة لتغيير أسماء بعض منها إلى اللغة اللاتينية ويتضح هذا التأثير من خلال الكلمات العربية التي بقيت مستعملة لدى الغرب نذكر منها:

الأكسبير	Alxir	حيكيم	Hakeem
الحشيش	hasheesh	معجون	magoon
النخاع	nucha	صداع	soda
السبات	Subeth	نبيل	Sunpul
الطباشير	tabashier	شراب	syrup

وهكذا عرف الغربيون أصول الصيدلة، وادخلوا إلى أوروبا لأول مرة الأعشاب والنباتات الطبيعية التي عرفها وجربها العرب، وثبتت لهم فائدتها المحققة ومن هنا فإن علم الصيدلة الحديث يدين للعرب باستعمال عقاقير وأدوية كثيرة كالراوند والكافور والكحول وغيرها من الأشربة والمراهم كما أخذوا عن العرب طريقة كتابهم "وصفة" التي تحتوي على ما يصفونه من أدوية على ورقة كانت تعرف "الدستور" في الشام و"النسخة" في بلاد المغرب والصفة في العراق[159].

2-علوم الحساب والطبيعيات:

---

157 البكر أبو عبيد: "جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك"، ج3، ص276.

158 علي عبد الله الدفاع، "إسهامات علماء العرب في الصيدلة، ص142.

159 زكريا هاشم زكريا، "فضل الحضارة العربية والإسلامية على العالم"، دار النهضة، القاهرة، ص444.

أ.الرياضيات: من أهم العلوم التي برعوا فيها علم الرياضيات الذي شمل فروع الحساب والجبر والهندسة والمثلثات فالحساب: هي صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم والتفريق، فالضم يكون في الأعداد بالأفراد وهو الجمع والتضعيف تضاعف عدد بآحاد عدد آخر وهذا هو الضرب والتفريق أيضا يكون في الأعداد أما بالأفراد مثل إزالة عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح، أو التفضيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها وهي القسمة[160].

حيث أصبح العرب المسلمين بعد فتحهم لأمصار جديدة مضطرين إلى استعمال الحساب في التجارة والمكاييل والمقياسات ومن هنا استعملوا في أبحاثهم وسجلاتهم الأرقام المعروفة اليوم بالأرقام العربية واخترعوا الفصر، ويعرف قيمة الصفر في الحساب وباقي العلوم والرياضيات حيث كان الناس قبل اكتشافهم الصفر يكتبون 10 مثلا على النحو (5+5) [161] كما برع العرب في حل المسائل الذهنية دون الالتجاء إلى استعمال القلم، وهم أول من قسم النسبة إلى ثلاثة أقسام، العددية والنسبة الهندسية والنسبة التالفية، وقد استطاعوا إيجاد نوعين من الأعداد وهي الأعداد الهندية (١,٢,٣,٤) والعربية (4.3.2.1...) ثم الجبر الذي عرفه ابن خلدون فقال هو: "صناعة يستخرج بها العدد المجهول من المعلوم المفروضة إذا كانت بينها نسبة تقتضي ذلك، فاصطلحوا فيها على أن جعلوا المجهولات مراتب عن طريق التضعيف بالضرب، أولها العدد لأنه يتعين مطلوب المجهول لاستخراجه من نسبة المجهول إليه"[162].

والجبر هو اختراع الخوارزمي[163] (ت253هـ/850م) ويعرفه على أنه نقل كمية من طرف المعادلة إلى طرف الآخر مع مراعاة تغيير الإشارات السالبة إلى الموجبة والعكس مثل: (أ+ب-ج=0) ويمكن القول أن الجبر هو أحد فروع التحليل الرياضي الذي يناقش الكميات باستخدام حروف ورموز عامة، ويعرف الجبر في القاموس الرياضي بأنه تعميم لعلم الحساب، وهو فرع من فروع الرياضيات يستعمل في حل الأعداد غير معروفة التي يتم تعريفها في حر المسائل، وقد برز الخوارزمي في هذا العلم من خلال كتابه "الجبر والمقابلة" استطاع من خلاله أن يقسم الكميات الجبرية إلى ثلاث أنواع جذر أي (س)، والمربع ويعني به ($س^2$) والمفرد وهو العدد أو الكمية الخالية من (س) كما شرح ستة أنواع من معادلات الدرجة الثانية مع حلولها[164].

---

160 ابن خلدون: "المقدمة"، ص480.

161 جلال مظهر: "حضارة الإسلامية وأثرها في الترقي العالمي"، دار مصر للطباعة، مصر، 1984م، ص140.

162 ابن خلدون: "المقدمة"، ص480.

163 عزالدين فراج: "فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية"، دار الفكر العربي، مدينة مصر، (د.س)، ص60.

164 حربي عباس، حلاق حسين: "العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية"، دار النهضة العربية، ص327.

أما في الهندسة فهي: "علم ينظر في المقادير إما المتصلة كالخط، والسطح والجسم وإما المنفصلة كالأعداد، وفيما يعرض بها من العوارض الذاتية، فالعرب هو أول من استعمل "الجيب" في حل المسائل الهندسية، وخصوصا في المثلثات وعملوا جداول "الجيب" لمختلف الزوايا. كما عملوا جداول "الجيب تمام" وكانت أعمال التباين في علم المثلثات، على جانب كبير من التقدم كما استعمل المعادلات لاستخراج نتائج دقيقة[165].

كما ابتكر جابر بن حيان قانون يمكن بواسطته حل المثلثات ذوات الزوايا القائمة وتعمقوا في أبحاث المخروطات، في الوقت الذي وصل فيه العرب المسلمين بعلم الرياضيات إلى مستويات عالية من النتائج العلمية التي سهلت لهم عدة مسائل، وجدت أوروبا طريقة صعبة لحسابها، حيث استخدمت لوحة عليها خانات الآحاد وأخرى العشرات والثالثة للمئات وفي هذه الخانات التي كانوا يضعون قطعا صغيرة[166]، من الحجر أو الزجاج أو المعدن وبهذا استطاعوا أن يجروا عملية الجمع والطرح عكس طريقة الغرب، ومن خلال حركة الترجمة التي شملت مصنفات العرب المسلمين في الرياضيات استطاع الغرب التعرف على أهم ما ابتكره العر المسلمون من نظريات وأول ما أخذ عن العرب الصفر الذي أصبح يعرف في اللاتينية (Cephirun) وفي الفرنسية (zéro) وبهذا استطاع الأوروبيون حل الصعوبات التي كانت تعيقهم في العمليات الحسابية، كما أخذوا طريقة العد العشرية[167].

ولم يقتصر فضل العرب على أوروبا في ميدان الرياضيات على علم الحساب وإنما امتد لبقية العلوم الرياضية وعلى رأسها علم الجبر، الذي لا يزال محتفظا باسمه العربي في كافة اللغات الأوروبية بعد أن أخذه الأوروبيين عن العرب، كما نهلوا طريقة حل المسائل الجبرية هندسيا والعكس، حيث كانت هذه النظرية الأساس الذي اعتمد فيما بعد.

أما في الهندسة فأخذ الأوروبيين المعادلات التي خدمت هذا العلم، وخاصة الحسابات فيما يتعلق بالجيب تمام والظل تمام، واستخدام خط المماس في حل المثلثات وما يدل على ذلك أن خط المماس أصبح يعرف بـ tangent بالإنجليزية واستفاد الغرب من الهندسة بأخذ الحسابات وتطبيقها في العمارة[168].

---

165 ابن خلدون، "المقدمة"، ص282.

166 حلاق حسين "العلوم عند العرب أصولا وملامحها الحضارية"، دار النهضة العربية، ص327.

167 زكريا هاشم زكريا، "فضل الحضارة العربية والإسلامية على العالم"، ص370.

168 عز الدين فراج، "فصل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية"، دار الفكر العربي، مدينة مصر، (د.س)، ص63.

فقد أخذ الرياضي الإيطالي جير ولا موكاردان (Cardon Girodame) عن ثابت بن قرة طريقته الهندسية في حل المعادلات من الدرجة الثانية[169].

ب.الكيمياء وعلم الطبعيات (الفيزياء):

1.الكيمياء: كانت كتب الكيمياء، أول ما ترجم من تراث الأوائل في الإسلام وكان حفيد معاوية الأول خالد بن يزيد المتوفي سنة (90هـ/708م) أول من اهتم بالصنعة.

بالإضافة إلى جابر ابن حيان ويعتبر المؤسس الحقيقي لعلم الكيمياء، حتى سمي العلم، علم جابر ينسبون إليه تأليف 2500 كتاب و1500 رسالة تبث منها 250 عل الأقل وشأنه الهام هو المنهج التجريبي (التدريب كما يسميه) الذي اتبعه وحاول فيه نقل الكيمياء من عمل سحري إلى علم بالتجربة والمشاهدة الموضوعية، انزله ذلك من الكيمياء منزلة أرسطو من علم المنطق وجانب من الكتب التي تحمل اسمه ملفق لكنها مع ذلك تمثل مدرسة جابر في الكيمياء، وهي المدرسة التي سادت من بعده في الكيمياء الإسلامية، ثم صارت بعد القرن 14م ومن خلال ترجمتها إلى اللاتينية، أشهر كتب الكيمياء، وأشدها أثر في أوروبا وآسيا[170].

وكذلك في دراسة الكيمياء ومواردها من العلوم، أدخل العرب فكرة التجربة العامة حيث توصل الكيميائيون المسلمون العرب إلى كشف الإكسير[171] الحجر الذي يحول المعادين إلى ذهب وتوصلوا إلى استحضار حامض الطر طير (المثرون)، وحامض الكبريت كما غيروا الطرق البدائية في منظر المعادن، وتمكنوا من تحضير عدد كبير من المركبات الكيميائية، مثل الصودا الكاوية (Nacl) وكربوات البوتاس (Kcl) والزرنيخ (Hg) واستطاعوا التميز بين الحوامض (Acide) وعرفوا أن النار تنطفئ بانعدام الهواء وميزوا بين التقطير المباشر والتقطير بواسطة حمام مائي رملي[172]، بالإضافة إلى ذلك فقط استطاع علماء الكيمياء في ديار العرب والإسلام التوصل إلى تحفيز ماء الفضلة (حامض النتريك) وماء الذهب (حمض البتريك) واخترعوا البارود واستغلوا القوة الناجمة عن انفجاره كما صبغوا الصابون والورق من القطن وصبغوا الحديد وصبغوا الجلود والروائح العطرية[173]. لتحقيق ما توصل إليه المسلمون عند تطوير علم الكيمياء اعتمدوا على بعض الأجهزة والأدوات والآلات الكيميائية.

---

169 جلال مظهر، "حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي"، دار مصر للطباعة، مصر، 1984م، ص63.

170 موسوعة علمية (بهجة المعرفة) المجموعة الثانية (مسيرة الحضارة)، ج1، ص138.

171 ابن خلدون، "المقدمة"، ص527.

172 حربي عباس، حلاق حسين، "العلوم عند العرب، أصولها وملامحها الحاضرية"، ص349.

173 سعيد عبد الفتاح عشور، "حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى"، دار النهضة العربية، بيروت، ص396، ص397.

وقد سار الأوروبيون على النهج التجريبي العربي متبعين خطة جابر التي تنادي بعدم التسليم بما لا يثبت بغير التجربة وأن كل نظرية محل تصديق أو تكذيب فلا يصح الأخذ بها إلا مع دليل القاطع وقد اهتدى "جالينوس" و"فرنسيس بيكون" و"نيوتن" وغيرها من العلماء النهضة بهذا المنهج التجريبي كما اعتمدوا على النظريات والآراء والأبحاث التي توصل إليها وقام بها الكيميائيون العرب وفي مقدمتهم "جابر بن حيان" وذلك من خلال نقل "ألبرت الكبير" (1280م)، وهو فيلسوف ألماني تعاليم غيره من العرب المسلمين في كتابه De Dimineralilus ولم يكون ألبرت مبتكرا إلا في الدراسات النباتية والحيوانية وحتى فيما يتعلق بهذه الدراسة فإنه اعتمد كثيرا على الترجمات اللاتينية الأصول عربية، ويظهر تأثير جابر حاليا في موسوعة "فانسيت دي يونيه speculum naturel" وما تزال كتب ابن سينا محفوظة في مكتبة الجامعات الأوروبية التي نهلت عنه نظريته في الكيمياء[174] كان للعالم الكيميائي "عز الدين بن علي الجلدعي" الفضل الأكبر في توصل العالم الفرنسي جوزيف براوست" 1799 إلى قانون النسب الثابتة في الاتحاد الكيميائي.

والحقيقة فإن للمسلمين فضل على أوروبا حينما تأثرت بأساليب العلماء المسلمين ويثرائهم الكيميائي، من البراهين على تأثر أوروبا بعلم الكيمياء عند العرب المسلمين استخدمها لمصطلحات كيميائية منذ العصور الوسطى إلى اليوم ومن هذه المصطلحات:

الصابون	Savon –soap	الكيمياء	Alchmy-chestry
الكحول	Alcool	البوتاس	Rotass-calium
الحناء	Alkumma	النيل	Anil
النطروم	Autron	بلسم	balsam
الأنال (الأناء)	Alude	غاز	Gaz
الملغم	Almalgam		
النقط[175]	Naphta		

2.علم الطبيعيات: (الفيزياء):

يعرف ابن خلدون هذا العلم على أنه : "علم يبحث عن الجسم من جهلة ما يلحق من الحركة والسكون، فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان ونبات ومعدن[176].

---

174 سعيد عبد الفتاح عاشور، "حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى"، دار النهضة العربي، بيروت، ص397.

175 زيغريدهونكة، "شس العرب تسطع على الغرب"، ص552.

وقد قام العرب في هذا المجال بمحاولات جادة على غرار مساهمتهم في باقي المحاولات فقد استفادوا من مؤلفات اليونان وعكفوا على دراسة ما كتبه السابقون وأعادوا إجراء التجارب للتثبت من صحة النتائج، بل جعلوا لهذا العلم ركائز علمية تجريبية، وقد اشتهر منهم "البيروني" و"أبو موسى بن شاكر" و"الحسن ابن الهيثم"[177] (354هـ -438هـ/965م-1039م) وإخوان الصفا والكندي، فجماعة إخوان الصفا اكتشفت كيفية تكوين الأحجار الكريمة والمعادن وبحثت هذه الجماعات في أساب حصول الزلزال المد والجزر وفسر أعضاؤها بطريقة علمية الأنوار والظواهر الجوهرية، أما مساهمة ابن سينا في هذا المجال، فكانت عبارة عن رسالة في الجيولوجيا، كما قدم المسعودي أبحاثا في تكوين الأرض، وفي المجال الضوء اكتشف الحسن ابن الهيثم قوانين العدسات وكيفية رؤية الأشياء وبخصوص الصوت أكد العلماء المسلمين أن هذا الأخير ينتشر على شكل موجات تتسع دائرتها وتضعف كلما ابتعدت عن مركز صدور الصوت، وعللوا صدى الصوت بأنه يحدث نتيجة انعكاس الموجات الصوتية عند اصطدامها بحاجز جبل أو حائط[178].

كما أخذ العرب عن ابن هيثم الذي كانت أبحاثه مقدمة لدراسة العدسات بأوروبا ويؤكد المؤرخون "كيبلر" أخذ عن ابن هيثم في علم البصريات[179]، خاصة فيما يتعلق بتكبير الأشعة الضوئية في الجو، وجاءت تجربة ابن الهيثم المتمثلة في تمرير الضوء من ثقب نحو صندوق مغلق. لتكون أول تجربة ستؤدي إلى اختراع آلة التصوير فيما بعد وأفاد العرب الغرب بأبحاثهم المتعقلة بصفة موارد المعادن وخصائصها الكيميائية وهذا ما أدى إلى إنتاج معادلات رياضية استخدمت في بناء السفن.

ج. علم الحيل: ولعل أشهر العلماء في هذا المجال، أبناء موسى ابن شاكر وهم محمد وأحمد والحسن ولهم كتاب يحتوي على مئة تركيب ميكانيكي منها طريقة صنع الآلات والألعاب وقد انصب اهتمامهم على الآلات المتحركة مثل الروائع المبنية على فكرة الفائدة الميكانيكية والتي تستخدم لجر الأثقال، كما تمكنوا من اختراع ساعة نحاسية وتركيب ميكانيكي يسمح للأوعية أن تملا تلقائيا كلما فزعت[180]، وفي مجال الزراعة اخترعوا آلة تحدث صوتا بصورة تلقائيا، كلما ارتفع الماء إلى حد معين من الحقل عند سقايته وكانت لهم مساهمة في اختراع نفورات المياه

---

176 ابن خلدون، "المقدمة"، ص490.

177 عبد الفتاح مصطفى غنيمة، "ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأثرها على الفكر الأوروبي"، دار الفنون العلمية الإسكندرية، ج2، ص185.

178 زكريا هاشم زكريا، "فضل الحضارة العربية والإسلامية على العالم"، ص488.

179 حلاق حسين، "العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية"، ص345.

180 فراج عز الدين، "فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبي ، دار الفكر العربي، مدينة مصر، (د.س)، ص83.

الصاعدة، كما شرحوا ظاهرة صعود المياه إلى الأماكن المرتفعة كالحصون والقلاع ورؤوس المنارات وكان علم الوسائل عندهم من فروع الحيل[181].

3. علماء الجغرافيا والهيئة (الفلك):

* **الجغرافيا**: بدا العرب المسلمون الاهتمام بالجغرافيا والتأليف فيها، قبل وقوفهم على كتاب بطليموس، ذلك أنهم كانوا من أهم التجار في المنطقة وقد جالوا مختلف المناطق والبلدان وتعددت رحلاتهم إلى الشام واليمن في الصف وذلك لما ورد في القرآن الكريم: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مَنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ** (4) ﴾ صدق الله العظيم. [182]

وقد ساهمت هذه الرحلات في زيادة تجارتهم ومعارفهم الجغرافية، وتوسعت هذه المعارف خلال الفتوحات الإسلامية ولم تكن الجغرافيا مرتبطة بالتجارة والفتوحات فحسب بل كانت على علاقة وطيدة بعلم الفل والذي برع فيه المسلمون كما ساهمت أسباب عديدة في نشوء علم الجغرافيا عند المسلمين ومنها:

1- الحج ورحلات طب العلم وهذا ستلزم معرفة الأمان والمناطق.
2- حاجة الدول الإسلامية إلى معرفة الطرق والأماكن والمناطق.
3- السفارات السياسية بين الدول العربية والإسلامة وغيرها، والتي ولدت رحما معرفيا[183].

ورغم بعض الآراء التي تنسب إختراع البوصلة إلى رجل إيطاليا اسمه "فلافيو" إلا أنه من المؤكد أن معرفة أوربا لهذه الآلة في أواخر القرن الثاني عشر مرت عبر الذين استعملوها قبل ذلك، وذكرها الإدريسي في مؤلفاته بل يكفي أن البوصلة احتفظت باسمها العربي في مختلف اللغات الأوروبية فيه بالإيطالية Bossela وبالفرنسية[184] Bans Sala.

---

181 حلاق حسين وحربي عباس حلاق حسين، "العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية"، ص345.

182 سورة قريش: الآية (1-4).

183 حسان حلاق وحربي عباس، "العلوم عند العرب، ص365.

184 عبد الفتاح مصطفى غنيمة، "ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأثرها على الفكر الأوروبي"، ج1، ص136.

ب–علم الهيئة (الفلك): كان من تعدد محاولات الإبداع العربي الإسلامي، أن أهتم العرب المسلمون بعلم الفلك الذي يصفه ابن خلدون بأنه "علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة، والمتحيزة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك"[185].

ومن الأعلام البارزين في علم الفلك نجد ألبتاني (328هـ-388هـ/940م-998م) الذي صحح بعض أخطاء بطليموس الفرغاني الذي قام بأبحاث مبتكرة في تحديد طول السنة تحديد مضبوطا، وأطوال الليل والنهار وحركات الكواكب، والنجوم وهذا إلى جانب ابن يونس صاحب "الزيغ الكبير الحاكمي"[186]. وكان البوزجاني من المترجمين الأواخر من اليونانية وقد أدرك العرب أن الأرض كروية سابحة ي الفضاء وفسروا كيفية دوران الشمس والنجوم والقمر حولها وقاسوا دائرة نصف النهار وكما رصدوا الكواكب السيارة والنجوم الثوابت، وعينوا مواقعها في خرائط خاصة بها واكتشفوا اختلاف القمر في سيره من سنة إلى أخرى[187]، ومن جهته توصل إبن رشد بواسطة الحساب الفلكي إلى وقت عبور عطارد على قرص الشمس، فرصده وشاهد بقعة سوداء على قرصها في الوقت المعين، كما عرف العرب حجم النجوم وأبعادها[188]، وأما التطور الذي شهدته الحركة العلمية في البلاد العربية كانت أوروبا تعيش الظلمات بل كانت تعاقب كل من يأتي بأفكار تتناف مع مبادئ الكنيسة، وهذا ما تم مع غاليتي الذي حبس ثم قتل لأنه اعتقد بدوران الأرض[189].

ويلاحظ من خلال الترجمة التي انتهجت أوروبا بخصوص المؤلفات العربية مدى استفادة أوروبا من هذه المؤلفات، فقد تأثر الأوربيون بخصوص ما جاء في رسائل إخوان الصفا التي جاب فيها، وأعلم إن الليل والنهار وساعتهما مقسمة بين الكواكب السيارة، فأول ساعة في يوم الأحد لشمس وأول في ساعة في يوم الإثنين للقمر وأول ساعة في يوم الثلاثاء للمريخ، وأول ساعة في يوم الأربعاء لعطارد ويوم الخميس للمشتري، ويوم الجمعة للزهرة، ويوم السبت لزحل، وبهذه والأيام العربية صارت الأيام تعرف في أوروا كالتالي:

- ✓ يوم الأحد Sunday أي يوم الشمس.
- ✓ يوم الإثنين Monday أي يوم القمر.
- ✓ يوم الثلاثاء Tyesday أي تيوز آله الحرب عند أمم الشمال.

---

185 ابن خلدون، "المقدمة"، ص485.

186 زيغرد هونكة، شمس العرب تسطع على العرب، ص197.

187 عز الدين فراج، "فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية"، ص68.

188 حربي عباس- حسن حلاق، "العلوم عند العرب"، ص318.

189 عز الدين فراج، "فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية"، ص5.

- ✓ يوم الأربعاس Wednesday أي يوم دين المعارف والفن.
- ✓ يوم الجمعة Friday أي يوم الربة فريج Frigo زوجة عطارد.
- ✓ يوم السبت Saturday أي يوم الزحل Sataum .

العلوم النقلية:

الأدب والشعر:

تعريف علم الأدب:

يعرف علماء الأدب بأنه: معرفة ما يحترز به من جميع أنواع الخطاء في كلام العرب لفظا وخطا، وغاية هذا العلم الإجادة في النظم والنثر، إضافة إلى تهذيب العقل وتزكية الجنان[190]، يقول ابن خلدون "وإنما المقصود منه عند أهل اللسان تمرنه وهي الإجادة في المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم[191].

أصل كلمة أدب وأنواعها:

إن أصل كلمة الأدب [أدب] مجهول، فضلا عن تطورها خلال العصر الإسلامي، بسبب أن العرب غيرت حياتها بإتصالها بالبلاد المفتوحة التي كانت لها آداب سابقة وبانتشار الإسلام بن ..أهلي ...أهالي هذه البلاد، فكان لكمة الأدب في أوّل عمد الإسلام معنى ديني يذل على السنّة الشريفة، تم اصح يدل على الأسلوب في أي

---

190 عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة.

191 ابن خلدون، العبر وديون المبتدأ والخبر 1/553.

عمل، تم أصبح يدل على الأسلوب في أي عمل، تم على الثقافة العامة، والأخذ من كل علم بطرف، وإن كان آخر الأمر اقتصر بصفة عامة على الإجادة ي فني النظم والنثر[192].

1-الأدب: لم يعرف الغرب لاسيما غرب أوروبا من فنون الأدب قبل احتكاكه بالعرب غير القصص الخرافية والملاحم الأسطورية، فلقد وقعت على الأدب العربي مسؤولية تغير ذوق الأوروبيين في ذلك الوقت، كما وقعت على العلوم العربية مسؤولية تغير عقليتهم الأوروبية وساهمت في ذلك فلسفة اليونان التي كان للعرب فضل الكبير في نقلها إلى الأوروبيين، فنفروا من الأسلوب الأدبي بعد أن تذوقه الأسلوب الرقيق الجميل ورفضوا التعبير الخرافي بعد أن أصبحوا أوسع إحاطة بأسراره، وقد أعادوا صياغة الموضوعات التقليدية مع تغيير أساليبها ومضامينها وتحدث "برد يكس" عن ذلك فقال أن تلك الأعمال الأولى التي سميت قصص وهي (طيبة) و(بانياس وطروادة) تختلف اختلافا واضحا عن الملاحم القديمة وتميز عنها بأسلوبها الشعري الموزون المتحرر عن التراكيب المعقدة[193]، وقال عن تلك القصص المنظومة أيضا أنها أعمال أصلية فقد نشطت في فرنسا وقت ظهورها حركة أدبية كبرى تميزت بالخصائص التي تميز بها أدب عصر النهضة وقد عاش مؤلفو قصص "طيبة وبانياس" في زمن انتفض خلاله الفكر الإغريقي وانتشر الفكر العربي.

ويعلق "برد يكس" قائلا نحن لا نستطيع إلا أن نتصور ما ينتج من صلة بين كل من الصليبيين وأمراء الأقاليم الفرنسية الشرقية من ناحية والحضارة العربية من ناحية أخرى، ويتابع قوله أن هذه النفخة وهذا الموضوع هما الجديدان في تلك القصص للرد على من تعصبوا لمثل هذه الحكايات وقل "برد يكس" أصدق تعبير على من تعصبوا للأدب الأوروبي تعصبا أعمى حين قالوا أن المعاني العاطفية التي رددها الشعراء التروبادو وحاكاهم في ترديدها مؤلفو القصة في الشمال الفرنسي مستمدة من أعمال "فيجل" صاحب الإلياذة الرومانية وكتاب فن الحب ونحن نسأل المتحيزين لماذا لم يحدث "فيجل" أي أثر في فرنسا ولم يحدث في تلك النهضة، الأدبية الباهرة إلا بعد أن هبت عليها نفحات الأدب العربي لأن الأندلس تعد الجسر الذي عبر منه كثير من المظاهر الأدبية الأندلسية إلى أوروبا في العصور الوسطى، ويتفق مؤرخو الأدب الأوروبي عامة على التأثير الحاسم الذي أحدثه الأدب الأندلس في تطور القصة الأوروبية، وقد تلقى الأدب العربي كثيرا من القصص الشرقية من الهند وفارس ونقلها بدوره إلى الأدب الأوروبي وكان (بيدرو الفونس) في طليعة القرن الثاني عشر من الذين نشروا في العالم المسيحي عددا كبيرا من المجموعات القصصيةالتي تقوم موضوعاتها حول الأمثال والحكم والمواعظ والدليل على ما آثرته هذه

---

192 عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص198.

193 القاسمي جاسم ابن محمد، "تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس"، ص.ص 219-220.

القصص من اهتمام في العصور الوسطى وجود أكثر من 63 مخطوطا من كتاب "الأدب العلماء لالفونسو"[194].

وقد عرفت إسبانيا المسيحية كتاب ألف ليلة وليلة عن طريق الأندلس، فقد وردت بعض قصصه في المدونة العامة لتاريخ إسبانيا.

أما فيما يخص اللغة العربية فإنه من الطبيعي أن تتسرب اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية ثم على اللغات الأوروبية بعد أن تكونت محليا في بلدان أوروبا وقد استفادوا من المصطلحات العلمية والفلكية والفلسفية والرياضية والجغرافية وغيرها.

وظلت المصطلحات العربية سارية بين المفعول في اللغات الأوروبية إلى يومنا هذا، ومن الطبيعي أن يدل هذا على حيوية اللغة العربية وعالميتها فالعرب سبقوا أوروبا بكثير من العلوم والأفكار وكان اللغة العربية وسيلة عظيمة لنقل علومهم وأفكارهم، وقد لعبت الترجمة العربية إلى سواها دورا هاما وفعال في نقل مفردات اللغة العربية إلى تلك اللغات، وقد أشار الباحثون إلى أن هذه المفردات التي تعد ولا تحصى قد سدت فراغا كبيرا في الثقافة الأوروبية وفكرها وعلومها ولولاها ظلت أوروبا في جهلها وتخلفها الكبيرين[195].

الشعر:

إن الشعر العربي لم يكن كالفلسفة أو الطب في تأثيره حيث أن الشعر العربي كان عربيا خاصا لم يتأثر بأدب حضارات سابقة، لقد ترجم العرب تراث اليونان خاصة كما ترجموا تراث أمم كثيرة وأفادوا منه إضافة إلى من تجاربهم وعبقريتهم ولكنهم لم يترجموا من آداب جيرانهم إلا ما هو في حكم الفكر لا الفن أو العاطفة، لقد برجموا حكم الهند وسير أبطال فارس، ولكنهم لم يترجمو ملامح اليونان ولا مسرحهم ولا شعرهم.

لقد نبت الشعر العربي في الصحراء النجدية نبتا أصيلا وكان خليقا أن يتشبع بروح العرب في كل تطلعاتها وأشواقها، واعتز العرب بشعرهم اعتزازا قويا بمجيء الإسلام بلغة عربية، وصدوا عن الأدب اليوناني وشكله الأسمى ومسرحه، والعب لم تعرف المسرح ومضمونه إلا صراعا بين الآلهة أو بين الإنسان والآلهة والعرب لا يدخل في

---

194 القاسمي جاسم ابن محمد، "تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس"، ص221.

195 القاسمي جاسم ابن محمد، "تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس"، ص222.

عقيدتها الصراع مع الآلهة، ولا تعرف إلا توحيد الإسلامي أو ما يشبه التوحيد قبل الإسلام حتى شعر اليونان الغنائي ما كن يمكن أن يصاغ شكلا أو مضمونا[196].

وقد أجدث تأثير شعر النهضة الذي تولد عنه نوع أدبي مستحدث هو القصة الشعرية العاطفية المعبرة عن الواقع الجديد، وظهرت القطوف الأولى لهذا النوع الأدبي في منتصف القرن الثاني عشر وحفظ لنا التاريخ ثلاث قصص، ولم يقصر شعراء "بروفانس" على محاكاة زملائهم الأندلسيين في نظم الشعر المعبر عن العواطف الرومانسية بأسلوب رقيق مهذب ولكنهم حاكوهم أيضا في استعمال القافية التي لم تعرفها أوروبا من قبل وقد أشار "دي ساسي" إلى ذلك في كتابه بحث أولي للعروض عبد العرب إذ قال: "العرب هم الذين نقلوا القافية إلى الشعر الأوروبي"[197].

ولم يسبق الشعراء التروبادور غيرهم إلى فكرة نظم الشعر باللغة الدارجة كما يخيل إلى مؤرخي الأدب، فقد حاكو العرب حتى في ذلك فالعرب نظموا الزجل وقامت بين أنصاره وأنصار اللغة الفصحى معركة أدبية تجاوزت أصدقائه وترددت في أرجاء بروفانس قبل أن يبدأ فيها شاعر بنظم بيت واحد من الشعر، والواقع أن الشعر العربي لم يؤثر في التروبادو فحسب بل امتد تأثيره إلى أوروبا كلها وإلى الأدب الفرنسي والإيطالي وغيرهما قد تردد صدى منظومات التروبادرو في شعر ذلك العصر في أغاني المنشدين الجوالين في الشمال، يقول "برد يكس" قام عرب الأندلس خلال القرن العاشر الميلادي بنشر حضارة جديدة أصيلة وابتدعوا شعرا عاطفيا نقله الشعراء التروبادور إلى الشمال وتدل المراجع على أن الإسبان بعد أن غزو الأندلس العربية وجدوا قصورهم ملأ بالشعراء العرب الذين وقعوا في الأسر وظلوا يعيشون في كنف الأمراء الجدد من السخف أن يتجنب مؤرخو الأدب الفرنسي ذكر هذه الحقائق وقد تأثر الشعر الإنجليزي أيضا بالشعر العربي وتتضح هذه الحقيقة إذ ثبت تأثره بالشعر البروفانسي الذي لا يختلف عن الشعر العربي في شكله ومضمونه[198].

الشعر في الإسلام:

بمجيء الإسلام الذي حرم التفاخر بالعصبية والقبيلية التي كانت أهم موضوعات الشعر العربي، والتي أدت إلى تفرقة العرب والحرب فيما بينهم، نحا بالشعر منحى جديدا، إذ نظر إليه نظرة متوازنة، فعاب على الشعراء

---

196 متصر عبد الحمدي، "أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية"، إشراف مركز تبادل القيم بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم الثقافية (اليونسكو) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970، ص112.

197 القاسم جاسم ابن محمد، "تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس"، ص218.

198 القاسم جاسم ابن محمد، "تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس"، ص.ص218، 219.

المنافقين ومدح الصادقين فقال الله تعال: "**الشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)**" صدق الله العظيم [الشعراء الآية: 224-227] وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم كما روى أبي بن كعب "إنّ من الشعر حكمة"[199] وقال ابن عباس رضي الله عنهما "إذا خفي عليكم" إن من الشعر حكمة، شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب[200].

وقد أيد الشعراء الدعوة الإسلامية، وشاركوا في معارك التحرير والفتوح ومدحوا الرسول والصحابة وحثوا المقاتلين على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، ورثوا الشهداء المجاهدين وكان من أبرز شعراء صدر الإسلام، كعب بن زهير (ت 26هـ -645م) وحسان بن ثابت (ت 54هـ/674م).

الشعر في العصر الأموي:

أما في العصر الأموي فتتطور أغراض الشعر، وأدخلت عليه فنون جديدة تتصل بالعقيدة الإسلامية من خلال اهتمام الخلفاء والحكماء بالشر من جهة ثالثة، وارتقى الشعر في هذا العصر وذلك لغاية الدولة وأمرائها لحاجتهم إليه، ولشدة تأثيره في الجماهير، فقد جعله الأمويين وسيلة لإذاعة محامدهم، وتأييد سلطانهم وطعن زعماء حصومهم، وبخاصة الشعة والخوارج والزبيريون ومن أشهر شعراء الأمويين البارزين أعشى – ربيعة عبد الله بن خارجة (تنحو 100هـ/ 718م)، وعدي بن الرقاع (ت95هـ/714م) شاعر الوليد بن عبد الملك ومن فحول الشعراء الأمويين العراقيين الذين عاشوا في كنف الأمويين جرير (1100هـ/728م) والفرزدق (ت 110هـ/728م) والأخطل (90هـ/708م) وبرز من الشعراء الأحزاب المناوئة للأمويين شعراء الشعة وأبرزهم، أبو الأسود الدؤلي (ت69هـ) والكميت بن زيد (126هـ) ومن شعراء الخوارج الطرماح بن حكيم (100هـ) ومن حزب الزبيريين: إبن قيس الرقيات (ت 75هـ).

---

[199] البخاري كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه (5793) وأبو داود (5010) والترميذي (2844) وابن ماجة (3755).

[200] المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة (ن) (3845).

وظهر في هذ العصر شعراء الغزل بنوعيه العذري والعمري، الذي امتاز بالبساطة والصدق والرصانة، وبرز فيه، جمل بينية (ت82هـ) وليلي امتاز الأخلية (ت75هـ) والغزل الصريح، وقد اشتهر به عمر بن أبي ربيعة(93) [201].

الشعر في العصر العباسي:

أما العصر العباسي فقد شهد ثورة ضخمة في الشعر كما ونوعا من حيث الموضوعات، والمعاني والأساليب والألفاظ ونشأت فيه أغراض لم تكن موجودة سابقا، وذهبت أخرى، فقد ضعف الشعر السياسي، والحماسي والغزل العذري، وقوي الشعر المدح والرثاء، وزداد الشعر الحكمي وظهر الشعر الزهدي والصوفي والفلسفي والتعليمي والقصص وأسرف الشعراء المتأخرون في استعمال ضروب البديع من جناس وطباق، واختموا بتزويق اللفظ فازدهرت الحركة الشعرية والأدبية بفعل عملية الامتزاج بين المجتمعات والعناصر المختلفة، وانتقال الثقافات الأجنبية عن طريق الترجمة وتبلور الخلافات السياسية والمذهبية بين الفرق الإسلامية بعضها مع بعض من جهة ومن جهة أخرى فضلا عن تشجيع الخلفاء والحكام الشعراء في بغداد والمدن الأخرى، ولمع في سماح الأدب العباسي شعراء كبار، أمثال بشار بن برد (1680) وأبو يونس (ت198هـ) وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت228هـ) والبحتري (ت284هـ) وأبو فراس الحمداني (ت357هـ) وأبو المعلاء المعري (ت449هـ) [202].

الشعر في الأندلس:

أما الأندلس فقد ابتكر الشعراء الأندلسيون الموشح، وطوروه وتفننوا في أساليبه، وكان الموشح خطوة كبيرة في تطور شكل الشعر العربي، فقد أتاح للشاعر حرية التصرف في الموشح انبعات أدب الزجل الشعبي، يقول ابن خلدون "وإما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدت المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح[203]" ومن أشهر شعراء الأندلس ابن زيدون (ت463هـ) وملك إشبيلية المعتمد بن عباد (ت488هـ).

النثر وازدهار فن الكتابة:

---

201 رحيم كاظم محمد الهاشمي، وعواطف محمد العربي، الحضارة العربية الإسلامية، ص137-174.

202 المرجع السابق، الدكتور رحيم ظاضم محمد الهاشمي وعواظف محمد العربي، الحضارة العربية الإسلامية، ص174.

203 ابن خلدون العبر والديوان المبتدأ والخبراء 1/583.

أما النثر، فهو كلام غير موزون، ولم يكن أقل ثراء وخصبا من الشعر، وقد بدأ النثر في صدر الإسلام بسيطا مباشرا، موجز العبارة، وبأشكال عديدة منها: الرسائل والخطب والأحاديث والأمثال والقصص، وبتقدم الحياة الاجتماعية والعقلية تقدم النثر وتنوعت مواضعه وتعددت فنونه فظهرت صنعة الكتابة وتألقت في العصر الأموي ومن كبار الكتاب الأوائل عبد الحميد الكاتب (ت132هـ) الذي استوعب شروط الكتابة في رسائله المشهورة التي وجهها الكتاب حتى قيل: "بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد".

وازدهر فن الكتابة في العصر العباسي ومن الذين اشتهروا في فن الكتابة الجاحظ (ت255هـ) الذي طور النثر المرسل ووسع آفاقه وصار له إماما، وكذلك ابن المقفع (ت142هـ) وبلغ النثر مداه في القرن الرابع هجري فاشتهر أبو حيان التوحيدي (ت نحو 400هـ) بالسجع وبإن العميد (366هـ) وغيرهم ثم طغت بعد ذلك على النثر موجة الزخرفة اللفظية والإسراف في التألق على حساب دقة المعاني ونظهر ذلك واضحا في المقامات ورسائل بعض الكتاب المتأخرين.

أنواع النثر:

الرسائل:

تعد الرسائل أحد أنوا ع النثر الفني والرسائل نوعان، الرسالة الرسمية أو العامة والرسائل الغير الرسمية، وكانت الرسائل الرسمية ي صدر الإسلام والعصر الأدبي الأموي موجزة واضحة لا تكلف فيها ثم أخذ كتاب الدواوين في العصر العباسي بتأنقون في الرسائل ومن أشهر كتاب الرسائل، عبد الحميد الكاتب، وبن العميد والصاحب بن عباد وغيرهم، أمّا الرسائل الخاصة أو الإخوانيات فهي التي يكتبها صديق إلى آخر، ومن أشهر كتاب هذا النوع الجاحظ وابن زيدون[204].

الخطابة:

وثاني أشكال النثر العربي هو الخطابة فقد اهتم بها المسلمون بعد الشعر لأنها كلام بليغ فيه الحماسة والخيال، وكان للخطابة شأن كبير في الجاهلية وصدر الإسلام، فكان العرب يدربون فتيانهم على الخطابة مند صغرهم، وقد ضمت كتب الأدب العديد من الخطب البليغة ومن أشهر خطباء العصر الراشدي الخليفة الرابع الإمام "علي بن أبي طالب"، وقد ضم كتاب (نهج البلاغة) خطبة ورسائله ولم يقلها في الحقيقة، كما ازدهرت الخطابة في العصر الأموي فكان العديد من الخلفاء والأمراء – كعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف وزياد

---

[204] الميداني مجمع الأمثال 1/148، الأعلام 1/219.

بن أبيه – خطباء يعولون على الخطابة في إبلاغ الناس مقاصدهم، والتأثير عليهم في نشر مبادئهم وأغراضهم وقد خلف لنا هذا العصر عدد كبير جدا من الخطب البليغة. وفي العصر العباسي شهدت الخطابة تراجعا كبيرا عن العصور السابقة ولم يبرز من الخلفاء من عرف بلخطابة.

الأمثال:

قد اهتم المسلمون بالأمثال، فجمعوها وألقو فيها كتب وأشهرها مجمع الأمثال للميداني والمستقصي في أمثال العرب للزمخشري[205] وهو معجم للأمثال العربية مرتب على الحروف الهجاء أوائل الأمثال.

القصة:

وللمسلمين تراث ضخم في القصة مازال الناس يقرءونه فيبهرهم بسعة أفقه وألطف أخيلته وغرابة أحداثه ولع أشهرها ما قيل في ذلك قصص عنترة وهو أحد فرسان السود لقبيلة عبس، وسيف بن ذي يزن من أبطال اليمن، وأبي زيد الهلالي من أبطال المغرب، والطاهر بيبرس سلطان مصر، ومن أبطال الحروب الصليبية والمغولية.

المقامات:

وفي القرن الرابع الهجري وضعت القصص الأدبية القصيرة التي تسمى المقامات ومن أشهر كتاب المقامات بديع زمان الهمداني (398هـ) الذي أملى 400 مقامة تدور حول بطلين أحدهما عيس بن هشام وثانيهما أبو الفتح الإسكندراني[206].

---

[205] الزمخشري (الكشاف) في تفسير القرآن الكريم 5/168-171.

[206] عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص206.

4-الفلسفة:

تتفق الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى مع الفلسفة الإسلامية تماما، كما تعتبر مقدمة ابن خلدون (ت1405/808) أساس الاجتماع الذي أخذه الأوروبيون عن المسلمون في عصر النهضة الحديثة، وابن خلدون أول من كتب في فلسفة التاريخ[207].

ولقد كان الثقافة اليونانية كالثقافة الفارسية مبثوثة بين المسلمين في البلدان المختلفة، وكان منالهم قريبا، وأنهم أخذوا يستفيدون منها ويتعلمونها على المثقفين بها، ولو لم يكونوا على دينهم[208].

في العصور الأولى للمسيحية ظهر في الإسكندرية المذهب المعروف "بالأفلاطونية الحديثة"، وكان لهذا المذهب الأثر الكبير في فلاسفة المسلمين وعلماء الكلام وخاصة المعتزلة والصوفية ومن هذا المذهب أخذ الفلاسفة المسلمون جل أفكارهم خاصة إخوان الصفا وغيرهم.

تأثر مسيحيو الأندلس بدراسة القرآن والحديث، وكانوا يكتبون العربية ويتكلمون بها، كما تأثروا بآراء الفلاسفة الإسلاميين، وقد أخذ الأوربيون عن المسلمين حكم الفلاسفة بعد أن درسوا مؤلفات الكندي (236هـ/850م) فيلسوف العرب وأبي نصر الفارابي (ت339هـ/950م) الذي لقب بالمعلم الثاني تميزا له عن

---

207 حسن إبراهيم حسن "تاريخ الإسلام السياسي، والديني والثقافية والاجتماعي"، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، ج3، ص38.

208 أحمد أمين، "فجر الإسلام" ط10 (1969)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص387.

المعلم الأول، وكذا أدخل مسيحيو الأندلس مؤلفات الرئيس أبي علي ابن سينا (469هـ /1037م) الذي نبغ في الفلسفة وأبقراط وجالينوس في الطب[209].

ومن الفلاسفة العرب كذلك الذين ذاع صيتهم وكانت لهم شهرة وأثر كبير في نقل الفلسفة اليونانية إلى أوروبا نذكر:

1-الكندي: تأثر المسلمون بالفلسفة اليونانية بعد أن ترجمت كتبهم إلى العربية في عهد الرشيد والمأمون، فاشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي ترجمت إلى العربية وعملوا على تفسيرها والتعليق عليها وإصلاح أعلاطها، نخص بالذكر من هؤلاء يعقوب بن انسحاق الكندي الذي نبغ في الفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم وقد حذا في تأليفه حذو أرسطو، وترجم كثيرا من كتب الفلسفة وشرح غوامضها وكان معاصرا للمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وكان المأمون كما لا يخفى أكثر الخلفاء عناية بالفلسفة وحث العلماء على دراستها ونقل كتبها، كما لا يخفى أثر الفلسفة في علم الكلام.

وقد انتقلت الثقافة اليونانية إلى المشرق عن طريق الكنائس المسحية التي تأثرت بهذه الثقافة، وخاصة الكنيسة النسطورية التي انتشرت آراؤها في بلاد المشرق عامة وفي فارس خاصة، وآراء الكنيسة اليعقوبية والملكانية التي انتشرت في سورية، كما كان لمدارس الرها أثر كبير في نشر الثقافة اليونانية في مدارس نصيبين حيث كانت تدرس العقائد النسطورية والثقافة اليونانية التي نالت تشجيع "آل ساسان" من ملوك الفرس، ولا تقل مدارس حران في بلاد الجزيرة عن مدارس الرها ونصيبين، إذ كانت تدرس فيها الآراء الفلسفية اليونانية والأفرطونية الحديثة، وكان الحوارانيون أو الصائبة، وهذه التسمية التي أطلقت عليهم في القرنين التاسع والعاشر (الثالث والرابع الهجري) ينسبون حكمتهم الصوفية إلى هرمس المثلث الحكمة وأغاثاذيمون وأورانيوس وغيرهم وقد أخذوا عن حسن نية آراء موضوعة ترجع إلى العصر الإغريقي المتأخر، وربما تكون هذه الآراء قد وضع بين ظهرانيهم وقد نشط قليل منهم في الترجمة والتأليف الذي يدل على سعة العلم وكان لكثيرين منهم اتصال علمي ووثيق بعلماء الفرس والعرب من القرن الثامن إلى العاشر (الثاني إلى الرابع) [210].

---

209 حسن إبراهيم حسن، "تاريخ الإسلام" السياسي، والديني والثقافي والجماعي، ج4، ص500.

210 حسن إبراهيم حسن، "تاريخ الإسلام السياسي، والديني والثقافي والاجتماعي"، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، ج3، ص389.

2–ابن سينا: ومن الفلاسفة ذوي التأثير الكبير على الأوروبيون الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله المشهور بابن سينا (428/270هـ) الذي أحيا آثار أرسطو وأفلاطون في الفلسفة وأبقراط وجالينوس في الطب ولهذا ذاع صيته في هاتين الناحيتين في العصور الوسطى، ليس في تفكير أهالي أسيا وحدها، بل في تفكير الأوروبيين أيضا.

ألف ابن سينا في المنطق مقتفيا أثر نصر الفارابي، ويعتبر المنطق المدخل للفلسفة التي ألف فيها الكتب وتأثر بأرسطو، كما بحث في الإلهيات وشرح إلهيات أرسطو.

3–ابن رشد: كما ظهر بان رشد في ميدان الفكر والفلسفة بعد أن زالت الدولة المرابطية التي كانت تناهض الفلسفة والفلاسفة.

ويقال أن الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي الذي تولى الحكم قبل (558هـ) سأل ابن رشد في مجلسه عن اسم أبيه ونسبه ثم بادره: ما رأى الفلاسفة في السماء؟ أقديمة هي أم حادثة؟ فاستولى الحياء على ابن رشد، وأخذ الخوف يستولى عليه وخشي أن يبطش به الأمير، وأخذ يعلل وينكر اشتغاله بالفلسفة، ولكن الأمير يتكلم في هذه المسألة مع ابن طفيل، فأعجب ابن رشد بغزارة علم الأمير ومعرفته بفلسفة أرسطو وأفلاطون والفلاسفة المسلمين، فذهب الخوف عن ابن رشد، وأخذ يتكلم دون خوف وكلفه الأمير بشرح مذهب أرسطو وقد قام ابن رشد بهذا العمل على أكمل وجه"فأورث الإنسانية علم أرسطو كاملا بريئا من الشوائب".

كان ابن رشد كثير إطلاع على ما ترجم من الكتب اليونانية فجاءت شروحه ملخصه أو مبسطة حتى أن "دانتي" أطلق عليه لقب الشارح في كتابه "الكوميديا الإلهية".

ولقد أثرت مؤلفات ابن رشد في الأندلس في الفكر الأوروبي ولاسيما في إيطاليا حتى القرن (16م) وكان لمذهبه أتباع من المسلمين والأوروبيين، على الرغم من أن جامعة باريس عملت على اضطهاد أتباعه، فقد عادت وطلبت من خريجيها ألا يعلموا تلاميذهم إلا المعلومات التي تتفق مع تعاليم أرسطو كما قررها ابن رشد[211].

---

[211] حسن إبراهيم حسن "تاريخ الإسلام السياسي، والديني والثقافي والاجتماعي"، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، ج4، ص.ص 511-512.

المبحث الأول: التنويه بالحضارة العربية.

من مرحلة الوعي بالذات تبحث الأمة من أصالتها و تسعى إلى اكتشاف ذاتها ووجودها، وتفتش عن جوهرها و ما قدمته و تقدمه للإنسانية من عطاء، و ما أسهمت به جهد حضاري أفاد البشرية وأثري قيمها ونراثها وفكرها وثقافها .وأعتد أن الأمة العربية في المرحلة الراهنة تحاول أن ا تعمل على صياغة تعي ذاتها من خلال تاريخها و من خلال ما تركته من أثر في الآخرين .ثم إ هذا الوعي لتحقق أملها في المستقبل و تحقق وحدتها ومصيرها الواحد الذي تصبو إليه باستمرار ا في فترة مضت عانت نعيش متأثرة تقارن بين ما لديها و ما لدى الغير حتى أوشكت في حين أ ا في يوم من الأيام كانت الرائدة في ميادين كثيرة .ولعل هذا الاستلاب الذي عاشته أن تنسى أ أمتنا و مازال يعيشه العض من يرجع إلى التخلف الذي امتد قرونا طويلة، وزاد من استمراره عوامل كثيرة في مقدمها الاستعمار الغاشم الذي ابتليت به الأمة العربية، كذلك تلك الفتنة من م ما رأوه في المفكرين و الكتاب الذين لم يروا في تاريخ أمتهم ما يهرهم و إنما الذي أغشى عيو الغرب من ثقافة و تقدم حضاري و ما اطلعوا عليه من نماذج متفردة في الآداب و الفن و الثقافة بل العلوم و المخترعات الحديثة و من هنا رأينا هذا الرهد من المثقفين[212].

212 . ابراهيم السعافين، ملامح التأثير الغربي في الأدب العربي الحديث، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 198 .

في ظل الحضارة الغربية يتهيأ ظلالها مستريحا من عناء البحث في الجذور مستسلما إلى الحذر الذي ملك عليه عقله و لبه وعواطفه دون أن يكلف نفسه جهدا في م راجعة أحكامه وآرائه حول الثقافة التي ينتسب إليها والحضارة التي ينتمي إلى فكرها وماضيها و تاريخها وربما كان هذا من بين الدوافع التي جعلت مجلة " المعرفة "تصدر عددا خاصا يتناول و أثر الفكر العربي و الحضارة العربية في الفكر الانساني، و هذه التفاتة طيبة من المجلة تسهم بها في التعريف بدور الثقافة العربية في تعميق وعي الانسان، وفي بيان مدى تأثر البشرية بما في هذه الحضارة من قيم وخير و نبل ومثل سامية .و لا يعني هذا دعوة إلى النفي بالماضي و أمجاده و الانكفاء على الذات، أو الاكتفاء بما تحقق في هذا الماضي، ولكنه يعني أن الأوان قد آن لنبحث عن التوازن في أنفسنا و في واقعنا بدر الهروب إلى الأمام أو النكوص إلى الوراء، أن الأوان لكي نخضع مركب النقص في نفوسنا و أن تنظر إلى العالم من حولنا نظرة أخرى غير التي كنا ننظر بها إليه، تنقد الماضي و لا نلعنه، تعمل على تغيير الحاضر بما يحقق أحلام و آمال المستقبل و الواقع أن العالم قد تنبه إلى ما في فكرنا من ثراء منذ زمن طويل و بدأ يعترف بدورنا الحضاري بعد أن خف التعصب ضدنا نسبيا .[213]

المبحث الثاني: صورة القرآن الكريم عند تولستوي:

أدهش القرآن الكريم العلماء والمفكرين والمبدعين، بل وأدهش العالم أجمع، وذلك بسبب فصاحة معانيه وبلاغة ألفاظه وأساليبه وتراكيبه الرفيعة والأحكام الجديدة لصالح أمر البشر عامة.

فإعتبر القرآن الكريم معجزة أعظم من كل المعجزات السابقة ففي القرون الوسطى، عندما بلغت الحضارة الإسلامية أوجها وبلغ إتصال العرب بالغرب أشده، سارع الغربيون إلى منافسة المسلمين في دراسة القرآن وطبعه مترجما إلى لغاتهم اللاتنية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية، وغيرها من اللغات الأجنبية الحية[214].

ليس كل الغربيين كما يعتقد البعض من المتعصبين ضد الإسلام ورسول الإنسانية، بل إن كثيرا من مثقفهم وكتابهم الكبار الذين نظروا بعين الإنصاف عرفوا قدر الإسلام وأهمية القرآن.

فعملاق الأدب الروسي والمصلح الإجتماعي والمفكر الأخلاقي ليوتولستوي يقول عن القرآن":لايوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملا، دون تحوير سوى القرآن الذي . نقله محمد، سوف تسود شريعة القرآن العالم لتوافقها وإنسجامها مع العقل والحكمة"[215].

---

213 . إبراهيم السعافين، المرجع السابق، ص09.

214 جاك بيرك، إعادة القرآن الكريم، ترجمة وائل غالي، باريس، ط2، 1995، ص10.

ويقول تولستوي كذلك" ومن أراد أن يطلع على سهولة وبساطة الدين الإسلامي عليه أن يقرأ القرآن بدقة، لأن القرآن يحتوي على أحكام وتعاليم وحقائق واضحة وبينة وسهلة وبسيطة، حيث يمكن لكل واحد من البشر الإستفادة منه .وفي القرآن الكريم آيات شريفة لها دلالة تامة على سمو منزلة هذا الدين وطهارة روح هذا الذي نزل عليه الوحي أي محمد . صلى الله عليه وسلم "[216].

ومن أراد أن يتحقق مما عليه الدين الإسلامي من التسامح فليس له سوى أن يطالع القرآن الكريم بإمعن وتدبر فقد جاء في آياته مايدل على روح الدين الإسلامي السامية منها:

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [217]

(لله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نارنور يهدي لله لنوره من يشاء ويضرب لله الأمثال للناس ولله بكل شيء عليم) [218].

ولابد من الإشارة إلى أن تولستوي قرأ القرآن الكريم باللغة الفرنسية" فتوجد نسخة من القرآن الكريم في مكتبة ليف تولستوي في بيتهفي قريته ياسانيا بوليانا"، وترك الكاتب الروسي بعض الملاحظات التي تدل على قراءاته للقرآن الكريم، هذه النسخة محفوظة في مكتبته البيتية التي تحولت في يومنا الحاضر إلى متحف أدبي الذي يحوي على كتب تاريخية، تثبت إهتمام الكاتب الروسي بالشرق، كما تحتفظ مكتبة تولستوي كتابا بعنوان القصص السورية" لمؤلفه كوندرو شكيس "وكتابا بعنوان الأساطير العربية" لمؤلفه ابن علي "[219].

لم يكن إهتمام تولستوي بالتعريف بالفكر القرآني مرده إلي الصدفة وحدها، بل هو في الواقع تعبير صادق عن مدى تأثره بأسس المعاملات الإسلامية والأحكام الإجتماعية التي تظمنها القرآن الكريم.

---

[215] بعد الكريم الهاشمي، رحلتي من الظلمات إلى النور (مناظرة بين الدكتور والشيخ) إسدار إسلام، ط1، 1978م، ص43.

[216] المرجع نفسه، ص48.

[217] آل عمران الآية 103.

[218] النور الآية 35.

[219] حياة شرارة تولوستوي فنانا، ليبيا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 2008، ص41.

والحق أن إهتمام تولستوي بالتعريف بالقرآن الكريم يأتي متسقا تماما مع الخطوط العريضة في فكره، ويشهد على ذلك إقتباسه للمعاني القرآنية لتأكيد صدق أفكاره التي كان يدعو إليها في السنوات الأخيرة من عمره، وهي الأفكار التي جاءت بمثابة محصلة وتتويج . لتأملات تولستوي في الحياة والواقع والمستقبل[220].

إستحوذت معاني القرآن الكريم على إهتمام تولستوي، وإستأثرت بحبه وعنايته، سيما وأنه وجد فيها صدى للكثير من أفكاره التي كان يؤمن بها ويدعو إليها، ومن ثم وجد لزام عليه التعريف بالإسلام، ثم يزيد على ذلك بما ينسجم ونصرته للحق فيقول":سوف تسود شريعة القرآن العالم لتوافقها مع العلل، ولقد فهمت وأدركت أن ما تحتاج إليه البشرية هو شريعة سماوية تحق الحق، وتزهق الباطل، ستعم الشريعة الإسلامية كل البسيطة لإئتلافها . مع العقل، وإمتزاجها بالحكمة والعدل[221]".

المبحث الثالث: الرسول الكريم في عيون تولستوي.

إن شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واحد من الشخصيات الملهمة و الفاعلة في تاريخ الإنسانية، و مثلما تأثر وانفعل الذين آمنوا برسالته كذلك تأثر الذين لم يؤمنوا به بل و الذين نواؤه " كالوليد بن المغيرة المخزومي مثقف العرب وحكيمهم الذي عاش ومات على الكفر :قال إنه لقوله لحلاوة و إن عليه لطلاوة و أن أعلاه لمثمر و أسفله لمغدف و أنه يعلو ولا يعلى عليه، و أمية بن أبي الصلة الثقفي هذا المثقف الكبير و الشاعر الذي اطلع على تاريخ الأديان و الأمم وفق مبهور أمام عظمة الرسول حين التقاه في مكة، حيث راح النبي ينظر إليه ويقرأ عليه سورة (يس) فقيل له ما تقول في محمد؟ قال أنه نبي وعظيم ولكن قلبي لا يطاوعني فيه.

جه من المسلمين و مثلما كان النبي ملهما لمعاصريه كان ملهما ومعلما لمن اطلع على سيرته وغير المسلمين . كثيرون أولئك الذين وقفوا مبه ورين أمام عظمة هذه شخصية العملاقة منذ أن أشرق نوره حتى يومنا هذا إلا أن مع الأسف أن من يحاول تشويه صورة النبي الناصعة أولئك المحسوبون على الإسلام المدفوعين من الحاقدين عليه .[222]

---

220 حياة شرارة تولوستوي فنانا، ص48.

221 محمد حمود، الأدب الروسي، الفنون والأدب، 1978، ط1، ص170.

222 . أبو الحسن علي الحسني الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين و الباحثين المسلمين كمؤسسة الرسالة، بيروت، ط3 ، 1986، ص15.

إن المرء ليعجب حينما يسمع و يرى التهجم على نبي الإنسانية من ثلة من الغربيين جاهلة بالقيم وجاهلة بالمعرفة ومظلة من قبل الحاقدين ولكن الحق ينطق على لسان المنصفين و المثقفين منهم وفي الوقت ذاته فإن قول هؤلاء المثقفين هو الدليل الذي يلجم الأفواه و الأقلام التي تصف الرسول الكريم بأنه نبي الحرب والدم."

ليس كل الغربيين كما يعتقد البعض من المتعصبين ضد الإسلام ورسول الإنسانية بل إن كثيرا من مثقفيهم وكتابهم الكبار الذين نظروا بعين الأنصاف عرفوا قدر الإسلام و أشادوا بصفات الرسول الأكرم ودفعوا عنه بنزاهة و موضوعية و اعترفوا أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالرسالة العظيمة لقيادة البشرية نحو الخير و الحق . ورغم الكلمة الشرسة ضد الإسلام ورسوله فإن عالما كبيرا مثل العالم النفساني و الاجتماعي الفرنسي المعروف جوستاف لوبون صاحب كتاب حضارة العرب يؤكد أن محمدا رغم ما يشاع عنه من قبل خصومه ومخالفيه في أوروبا إلا أن الحقيقة التي لا مراد فيها أنه أظهر الحلم العظيم و الرحابة الفسيحة، ويقول الأديب الفرنسي ألفونس لا مارتين :إن محمد أقل من الإله و أعظم من الإنسان العادي أي أنه نبي .وكان الأديب الايرلندي برنارد شوهر الآخر منفعلا بشخصية النبي محمد إذ قال :إن من الأنصاف أن يدعى محمد منقد الإنسانية و أعتقد أن رجلا مثله لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته و أحل فيه السعادة و السلام، و لعل قول الكاتب الأمريكي مايكل هارت في كتابه (العظماء مائة وأعظمهم محمد) قول في غاية الانصاف و الدقة إذ يقول " حين سئل عن اختياره و معهم حق في ذلك و لكن محمدا هو انسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستويين الديني و الدنيوي، و هو دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات.

وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا وبعد (13) قرنا من وفاته فإن أثر محمد مازال قويا ومتجددا .أما عملاق الأدب الروسي و المصلح الاجتماعي و المفكر الأخلاقي (ليو تولستوي)و الذي يعده البعض أعظم الروائيين على الإطلاق بفضل أعماله عظيمة خطها ببراعة مثل، "الحرب و السلام "و " أنا كرانينا "فله كذلك كتاب عن الرسول صلى الله عليه ويلم موسم تحت عنوان حكم النبي محمد وقبل أن أعرض الكتاب وددت أنقل مقدمة متجرمة [223] الكتاب إذ يقول فيها بعد اطلاعي على رسالة الأديب الروسي لتولستوي عن الإسلام وعن النبي محمد مالني ما جاء فيها من الحقائق الباهرة فدفعتني الغيرة على الحق إلى ترجمتها إلى العربية، علما أن متجرم الكتاب (سليم قبعين) هو مسيحي لبناني .يصف تولستوي النبي محمد في كتابه (حكم النبي محمد) قائلا :هو مؤ سس دين و نبي الإسلام الذي يدين به أكثر من مائتي مليون إنسان (الكلام عام 1912 م) قام بعمل عظيم

---

223 . المرجع نفسه، ص16.

بهدايته و اثنين قضوا حياتهم في الحروب وسفك الدماء، فأنار أبصارهم بنور الإيمان و أعلن أن جميع الناس متساوون أمام الله .ثم في فصل آخر من كتابه و تحت عنوان (من كان محمد)، يقول من أراد أن يتحقق مما عليه الدين الإسلامي من التسامح فليس له سوى أن يطالع القرآن الكريم بإمعان و تدبر فقد جاء في آياته ما يدل غبى روح الدين الإسلامي السامية منها ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) [224] ﴾ .[225] **ويقول ":**لقد تحمل في سنوات دعوته الأولى كثيرا من اضطهاد أصحاب الديانة الوثنية القديمة و غيرها شأن كل نبي قلبه فادى أمته إلى الحق و لكن هذه المحن لم تثن عزمه بل ثابر على دعوة أمته مع أن محمدا لم يقل إنه نبي الله الوحيد بل آمن أيضا بنبوة موسى والمسيح و دعا قومه إلى هذا الاعتقاد و أيضا وقال إن اليهود و النصارى لا ينبغي أن يكرهوا على ترك دينهم بل يجب عليهم أن يتبعوا وصايا أنبيائهم .ويقول تولستوي أيضا و مما لا ريب فيه أن النبي محمد كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدى أمة بأكملها على نور الحق وجعلها تجنح إلى السكينة و السلام و تؤثر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وفتح لها طريق الرقي و المدينة وهذا عمل عظيم لا يقوم به شخص مهما أوتي من قوة ورجا ."[226]

مثل هذا جدير بالاحترام و الإجلال كما اختار تولستوي مجموعة من أحاديث الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) بلغت 64 حديثا، وضمنها كتابه ومنها:

-لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

-ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

-إن الله عز وجل يحب أن يرى عبده ساعيا في طلب الحلال.

اية هذا العرض أقوال إن أهمية هذا الكاتب تمكن في أنه من الكتب النادرة الذي طبع قبل في 90عاما وهو كتاب غير معروف لدى الكثير من قراء العربية و هو في الوقت نفسه ينصف الإسلام ونبيه الكريم ويدعوا الآخرين إن إنصافه، و الكتاب في النتيجة النهائية هو وثيقة تاريخية لصالح الإسلام و المسلمين.

---

224 آل عمران الآية 103.

225 .القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 103.

226 . المرجع نفسه، أبو الحسن على الحسني الندوي، ص20.

من هو تولستوي (1910روائي وكاتب روسي من عمالقة الروائيين - هو نيقولا يفتشي تولستوي1928) الروس و من أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر و البعض يعدونه من أعظم الروائيين على الإطلاق.

ولد تولستوي في عائلة كبيرة تنتمي إلى النبلاء الروس و كانت لهم أراضي واسعة ككل الإقطاعيين في هذا الزمان و كان أبوه يحمل لقب " كونت "أما أمه فكانت من طبقة الأمراء و هذا يعني أنه كان من أصل عالي المستوى في روسيا بل يجيء في المرتبة التالية للعائلة المالكة.

يعد تولستوي من أكبر المصلحين الاجتماعيين في التاريخ وداعية سلام و مفكر و فيلسوف، أشهر أعماله روايتي "الحرب و السلام "و" أنا كارنينا "وهما يتربعان على قمة الأدب الواقعي، فهما يعطيان صورة واقعية للحياة الروسية في تلك الحقبة الزمنية[227].

آمن تولستوي بأهمية العلم لإصلاح الأمم فأقدم في التاسع عشرة من عمره على تنظيم مدرسة في قريته " ياسنايا بوليانا "وقد استفاد من سفره الطويل إلى ألمانيا و فرنسا و سويسرا و قد ألف كتابا و إيطاليا في دراسة المؤسسات التربوية فيها إلى جانب دراسة أدبها و فنو سماه " الأبجدية "صدر عام 1872 الذي صار حدثا عظيم الأثر في التعليم الروسي.

طور تولستوي" أبجديته "حتى أقرت الدولة" أبجديته "في جميع مدارس الدولة، ودرس تولستوي الأدب العربي في كلية اللغات الشرقية (قسم اللغتين التركية و العربية) بجامعة قازان و قد اهتم الأدباء العرب بتولستوي و إبداعاته حتى نعاه كثير من الشعراء و الأدباء العرب ومصطفى لطفي المنفلوطي.

---

227 . حياة تولستوي" تولستوي "شبكة الأنترنت www.goodreads.com/authorshould/3103906 .

أثر الثقافة العربية في الثقافة الروسية في مجالين و هما كالتالي:

1-الأدب و الفن:

الكثير من الشرق بحضاراته وآدابه، إن الكاتب الإنساني الكبير لي وتولستوي، وقصصه وأساطيره وفلسفته ودرسها باهتمام وحماس كبير وكان الشرق منبعا لفلسفته وآرائه، ولا عجب في ذلك فقد أعرض تولستوي عن الحضارة الغربية البرجوازية الرأسمالية، التي تقضي على الروح الإنسانية في الإنسان وتجعله عبدا للإله و المال، فراح يبحث عن الروح والفكر والحكمة في الشرق وقد درس في كلية اللغات الشرقية و اطلع على الآداب والفلسفة الشرقية [228]، وكان تو لتسوي أول كاتب روسي يعقد صلات وروابط شخصية مع اية القرن كتاب الشرق ومفكريه، ومن بينهم المفكرين والكتاب العرب في عصر النهضة في. التاسع عشر وبداية القرن20 وكان اهتمام تولستوي بالعرب والحضارة العربية والأدب العربي لا ينصب ولا يفتر فقد اطلع على الحضارة العربية وتعرف على الفولكلور الشعبي عند العرب، و على الأمثال العربية وقرأ ما ترجم إلى الروسية من الأدب العربي و من بينها رسالة الغفران" للمعري "[229].

تولستوي، منذ طفولته، شغوف بالحكاية و القصص العربية مثل "ألف ليلة وليلة" و" علي بابا والأربعين حرامي "و" الأمير قمر الزمان "و" علاء الدين و المصباح السحري."

فقد قرأ تولستوي ألف ليلة وليلة شابا ترجمت للروسية عن الفرنسية في القرن 09 و تأثر بهاو نشر بعضها بأسلوب بسيط و لغة جذابة للأطفال .[230]

---

228 مجلة المعرفة "الأدب العربي في الآداب الأجنبية" كانون الثاني –شباط، 1988، العددان 191 و193.

229 د. مكازم العمزي، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، (عالم المعرفة)، نوفمبر/تشرين، 1991.

230 د. نجم عبدالله كاظم تولستوي والتأثير العربي في الأدب العربي في الأدب الروسي.

إن تولستوي يحافظ على تسلسل الأحداث و الخاتمة و العبرة من هذه القصة، مكتفيا بصياغتها بأسلوب روسي، فيبدل الأسماء بأسماء روسية ويكتبها بلغة جذابة مفهومة، وهذا ماأكسب الحكاية العربية شهرة كبيرة و انتشارا واسعا لدى الشعب الروسي .[231]

كما أدخل تولستوي عددا كبيرا من الأمثال و الحكم العربية انتشارا واسعا بين القراء الروس، فهذه الأمثال تعكس الخبرة الحياتية و التجربة الصادقة للعرب التي تماثل تجارب الشعوب الأخرى. [232]

و مما هو جدير بالذكر أن تولستوي قد اختار الحكاية العربية المعروفة ب " الملك و القميص "وجعل منها قصة طريفة ذات مغزى تربوي، للأطفال باللغة الروسية، وقد انتشرت هذه القصة انتشارا واسعا حتى أنني نجدها في الكتب و الحكايات الفولكلورية في الغرب، كما استقى تولستوي حكايته المعروفة " الملك الأشوري آسار خادون " التي كتبها سنة 1903 ن المصادر العربية و التاريخية العربية القديمة .[233]

درس ليون تولستوي تاريخ العرب القديم دراسة متعمقة فقد وجدت في مكتبته كنبا ومصادر تاريخية كثيرة عليها إشارات وملاحظات بخط يده تدل على دراسته لهذه المصادر و اهتمامه الكبير بها كما احتوى مكتبته إلى جانب المراجع التاريخية كتبا نادرة بالأدب و الفولكلور العربي صدرت في ذلك الوقت في روسيا بالغة الروسية مثل " حكايات سورية" و كتاب بن علي" حكايات عربية "و غيرها، وفي رسائله لأصدقائه أشار تولستوي أكثر من مرة إلى القصيدة العربية التي عثر عليها في كتاب " قصص وأساطير المعلم جلال الدين ."[234]

إن فضل تولستوي كان عظيما في تعريف الجمهور الروسي بثروات ونفائس الأدب العربي و الآداب الشرقية الأخرى، فقد ترجم كثيرا من روائعها إلى اللغة الروسية وكتب مقالات وأبحاثا عديدة من مفكري الشرق، ونشر

---

231 حكمت الأوسي، التأثير العربي في الثقافة الروسية، بغداد، 1984.

232 د. محمد حمود، الأدب الروسي، ط1، 1491هـ /2008م، ص41.

233 مجلة المعرفة، "الأدب العربي في الآداب الأجنبية، العدد 191، 192.

234 المجلات من الأدب الروسي، ماهر، نسيم إقرأ، دار المعارف بمصر، 1958، ص123.

قيمهم ومبادئهم في روسيا كما تشبع بأفكارهم ونزعتهم الإنسانية وكان من أكبر المدافعين عن حرية الشعب العربي وشعوب الشرق الأخرى[235] .

ويعتبر الكاتب الكبير مكسيم عز ركي من الكتاب الروس المولعين جدا بالآداب العربي و الآداب الشرقية عامة، ويقال بأن أول كتاب أدبي يطالعه ع زركي بعد تعلمه القراءة والكتابة (عمره) 12 هو الترجمة الروسية لكتاب (ألف ليلة و ليلة) و من الثابت تاريخيا أن" كتاب ألف ليلة و ليلة "كان رفيق عزركي أينما حل أو رحل.

لقد زاد اهتمام عزركي بالعرب والأدب العربي والتاريخ الغربي وقد دعى إلى العمل على ترجمة القرآن و"ألف ليلة وليلة "ترجمة أمينة ورصينة تتفق ومكانة هذين الأثرين الهامين ويبقى يتابع أعمال ترجمتهما حتى النهاية .[236]

والمستقبل (كما تعيد اللثام عن ثلاث درجات لاستيعاب الكاتب للواقع التاريخي يبرز به دائما " غلامان " عالم السادة وعالم المسودين والذي ينبسط من خلاله مشكلة الفلاح، أكثر الموضوعات المحببة عند تولستوي الكاتب والإنسان، فقد ارتبطت حياة تولستوي الروحية وأبحاثه النفسية بموضوع الفلاح الذي كان يؤرقه أكثر من أي شيء آخر والحديث عن الفلاح يرتبط عند تولستوي أيضا بتصوير أزمة المجتمع المعاصر بطبقاته المختلفة وفي مقدمتها الطبقة الإقطاعية التي جذب اهتمام فيها البطل الإقطاعي اليقظ الحس الذي يستشعر أزمة الواقع ودور طبقته في هذه الأزمة، ز هو لهذا يقوم بتجربة معذبة و مثابرة يحاول فيها أن يقترب من الشعب وأن يجدد معه لغة مشتركة، لكن مسيرة البطل الإقطاعي في حياة الفلاح ليست بالعملية السهلة[237].

---

235 د. عبد الله كاظم، في الأدب المقارن مقدمات للتطبيق، ط1، 1429هـ/2008م.

236 1869 -و" أنا كارنينا - 1873 "وتكتشف أشهر رواياته " الحرب والسلام1864 " 1899عن رؤية الكاتب تجاه عوالم ثلاثة (الماضي والحاضر 1877 - و " البعث1889 " .سيقمند " تولستوي و الشرق "موسكو1981

237 د. محمد حمود، الأدب الروسي، ص41-42.

2-في مجال القيم الإنسانية:

لقد نال تولست وي الحب و التقدير في كل مكان، قالوا عنه " انسان الإنسانية "و " ضمر الإنسانية "و غرها من الألقاب الت حاول مطلقوها ابراز الأهمية الكبرى لتولستوي المفكرون الفنان والإنسان، قال عوزكي " من لا يعرف تولستوي لا يمكن أن يعد نفسه مثقفا فالقيمة الحضارية والثقافية لمؤلفات تولستوي لا حدود لها ولا غنى عنها عكس تولستوي في إنتاجه بكل الشمول و الصدق قرنا كاملا من حياة روسيا وجسدت مؤلفاته عالما كاملا من الأفكار والمثل والموضوعات التي لا تمس الواقع الروسي القومي فحسب بل الإنسانية جمعاء .كما ترك العديد من المقالات التي تتطرق لشتى موضوعات الفكر و الفلسفة و الدين، كما تمكن تولستوي من النفاذ إلى" سر " العلاقات الاجتماعية فجاءت واقعيته بحق " خطوة إلى الأمام في تطور الواقعية لا في الأدب الروسي وحده بل في الأدب العالمي ."[238]

بل هي عملية نفسية وعقلية غاية في التعقيد وتولستوي يوضح أبعاد كل هذه العملية النفسية ": وكانت أكبر إنجازات تولستوي الفنية هي كشفه وتوضيحه للعلاقات المعقدة بين النفسية الإنسانية والبيئة الخارجية والمعيشة اليومية.

---

[238] باسم الخفاجي، الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام، المركز العربي للدراسات الإنسانية، الرياض، 2004-2006، ص: 20-21، ص30-31.

أثرى تولستوي الواقعية الروسية والعالمية بالبحث الفني لما أطلقت عليه النقاد " ديالكتيك الروح" فالعالم الداخلي عند أبطال تولستوي عالم متعدد الجوانب، والكاتب يصوره في حركته التي لا تتوقف، وفي تأثيره وخضوعه لنفس قوانين إلى ديالكتيك والتطور التي تحدث بالواقع التاريخي نفسه[239] .

كما أوضح تولستوي – المحلل النفسي -أن الصراعات الداخلية في نفس الإنسان هي صراع بين مختلف المشاعر المتناقضة و تولستوي لا ينقل فقط أصغر التفاصيل في الحياة الروحية لأبطاله بل يبحث عملية اكتناز تلك الأمزجة الروحية أو خلافها، وبناء عليه بوضع الانقلاب و البحث الجديد في روح الإنسان تحت تأثير الظروف الخارجية."

1-التنويه بالحضارة العربية و الإسلامية.

2-الرسول الكريم في عيون تولستوي.

-2اطلاعه على أحاديث النبي عليه الصلاة و السلام من خلال الكتاب":حكم النبي محمد."

1-في مجال الأدب و الفن.

2-في مجال القيم الإنسانية.

1-أقوال في نبي الإسلام محمد(صلى الله عليه وسلم).

إن محمدا هو مؤسس ورسول، كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخرا أنه أهدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد ومنعما من سفك الدماء و تقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية, و هو عمل عظيم لا يقدم عليه الا شخص أوتي قوة ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال.

إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها .إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد .(الفيلسوف الانكليزي" برناردشو).

---

239 المرجع نفسه، 26.

"من ذا الذي يجرؤ من الناحية البشرية علي تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد؟ ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه عند النظر إلي جميع المقاييس التي تقاس بها عظمة الإنسان؟! فأعظم حب في حياتي هو أنني درست حياة محمد دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود ."أضاف" :أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدركه محمد؟ !وأي إنسان بلغ؟ لقد هدم المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق وإذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة .فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بمحمد في عبقريته؟

المؤرخ »: إن الأوضاع العالمية تغ يرت تغيراً مفاجئًا بفعل فرد واحد ظهر في التاريخ هو محمد"« كريستوفر دارسون." لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله بقوله :(**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحمَْةً« لِّلْعَالَمِينَ**)، [240] 1" كان محمد رحمة حقيقية، وإني أصلي عليه بلهفة وشوق أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر .لقد أصبحت "مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن" مهاتما غاندي "الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته .هذه الصفات هي التي مهدت الطريق وتخطت المصاعب وليس السيف، بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول ». وجدت نفسي آسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر من حياته العظيمة هذا النبي افتتح برسالته عصراً للعلم والنور والمعرفة، حري أن تدون « »:كارل ماركس « وقال أقواله وأفعاله بطريقة علمية خاصة، وبما أن هذه التعاليم التي قام بها هي وحي فقد كان عليه أن يمحو ما كان متراكماً من الرسالات السابقة من التبديل والتحوير، إن محمداً أعظم عظماء ». العالم . والدين الذي جاء به أكمل الأديان وقال الكاتب والأديب البريطاني المعروف" هربرت جورج ولز "في كتاب" معالم تأريخ الإنسانية" " :كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط، ولم أجد دينا يسير مع المدينة أني سارت سوي دين الإسلام[241] ."

آرنولد توينبي" المؤرخ البريطاني الكبير "قال" : الذين يريدون أن يدرسوا السيرة النبوية سيجدون أمامهم من الأسفار ما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله الكرام ....إنني أدعو العالم إلي الأخذ بمبدأ الإخاء والمساواة الإسلامي، فعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام هي أروع الأمثلة علي فكرة توحيد العالم، وأن في بقاء الإسلام أملاً للعالم كله."

---

[240] سورة الأنبياء: الآية 107

[241] .محمد أسد، الطريق إلى الإسلام، ط1، ص26.

قال الشاعر الألماني" جوته :"ظني أن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية، وإننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلي ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد.

لقد أخرج محمد للوجود أمة، ومكن لعبادة: « (يقول المستشرق هيل في كتابه) حضارة العرب الله في الأرض، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة[242] ». في أقوام لا تعرف غير الفوضى راما كريشنا راو في كتابه (محمد النبي) ': لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها، ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة .فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً.'

سانت هيلر :قال في كتابه الشرقيون وعقائدهم :كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة.

قال الفيلسوف" رينيه دكارت "[243] :نحن المسيحيون والمسلمون موجودون في هذه الحياة، ولكنهم يعلمون في الرسالتين" العيسوية "و"المحمدية "ونحن لا نعمل بالثانية ولو أنصفنا لكنا معهم جنبا إلى جنب لأن رسالتهم فيها ما يتلاءم مع كل زمان ومكان، ولأن صاحب شريعتهم الذي عجز العرب عن مجاراة قرآنه وفصاحته بل لم يأت التاريخ بأفصح منه إنسانا وأبلغ منه منطقا وأعظم منه خلقا، وهذا ما أهله أن يكون نبيا في آخر حلقات الأنبياء وان يعتنق دينه مئات الملايين من البشر.

إننا لم ننصف محمدا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة : "سنرستن الآسوجي "الصحيحة فى وجه الجهل، مصرّا على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ.

---

242 . تأثير الشرق العربي في فكر تولستوي، ص120,

243 . محمد السقاعييد، عظمة النبي في عيون المنصفيين والعقلاء العربيين، شبكة الأولكة، ص3.

يقول المستشرق الأمريكي (سنكس) [244] في كتابه (ديانة العرب)" :ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة."

يقول (مايكل هارت) في كتابه (أعظم مائة رجل في التاريخ): [245]" إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين :الديني والدنيوي.

هالني ما جاء فيها من الحقائق الباهرة فدفعتني الغيرة على الحق الى ترجمتها الى العربية"، عن المترجم الكتاب (سليم قبعين) هو مسيحي لبناني.

ويقول الكونت كاتياني في كتابه (تاريخ الإسلام) :أليس الرسول جديراً بأن تقدَّم للعالم سيرته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب والسلام؟! وإنالوثائق الحقيقية التي بين أيدينا عن رسول الإسلام ندر أن نجد مثلها، فتاريخ عيسى وما ورد في شأنه في الإنجيل لا يشفي الغليل.

إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها :عميد كلية الحقوق بفيينا. إن محمداً رغم ما يشاع عنه من قبل خصومه ومخالفيه في أوروبا إلا أن الحقيقة التي لا مراء فيها .أنه أظهر الحلم العظيم والرحابة الفسيحة :المؤرخ الفرنسي" غوستاف لوبون "[246] يقو ل المستشرق الكندي الدكتور (زويمر) في كتابه " الشرق وعاداته:" إن محمدا كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين ، ويصدق عليه القول أيضا بأنه كان مصلحا قديرا وبليغا فصيحا وجريئا مغوارا ، ومفكرا عظيما ، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء.

إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إنه رغم أميته، استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيون أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته.

"قوم يضربون في الصحراء عدة قرون لا يؤبه بهم ولهم فلما جاءهم النبي العربي، أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والمعرفات وكثروا بعد قلة، وعزوا بعد ذلة، ولم يمض قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم " ."

---

244 . نفس المرجع نفس الصفحة.

245 . تر: أنيس منصور، مايكل هارت، دار الكتاب العربي، ص51.

246 .محمد السقاعيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والغربيين، ص39.

لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمد اً خدّاع مزوِّر... إن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس :المصلح الاجتماعي الانكليزي" توماس كارليل."

اعترافات أهم المستشرقين:

الفيلسوف" برتراند راسل "[247] :لقد قرأت عن الإسلام ونبي الإسلام فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التي جاء بها محمد والتي حفل بها كتابه مازلنا نبحث ونتعلق بذرات منها وننال أعلى الجوائز من أجلها."

و"كان محمد بتعاليمه وكتابه أحق بكل الجوائز لكنه لم يسع إلى ذلك وترك الأمور تسير بطبيعتها حتى لا يتهم بأن الإسلام بالسيف ساد وانتشر" ، لقد كانت الأخلاق الإسلامية منذ محمد وحتى اليوم وغداً هي المفتاح الحقيقي للإنسان الذي يحلم بان يكون لوجوده معنى ."

"الاسكتلندي وليام موير :"من صفات النبي الجديرة بالتنويه والإجلال" الدقة والاحترام "اللتان كان يعامل بهما أتباعه حتى أقلهم شأناً، فالتواضع والرأفة والإنسانية وإنكار الذات والسماحة والإخاء وثقت به محبة كل من حوله."

"ولقد امتاز محمد بوضوح كلامه وسهولة دينه ولقد أتم من الأعمال مالم ولن يستطيعه مصلح اجتماعي، فقد أحيا الأخلاق وحث على الفضيلة. الفيلسوف الفرنسي" جان جاك روسو "[248]" :لم ير العالم حتى اليوم رجلا استطاع أن يحول العقول، والقلوب من عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الواحد إلا" محمد اً "ولو لم يكن قد بدأ حياته صادقاً أميناً ما صدقه أقرب الناس إليه، خاصة بعد أن جاءته السماء بالرسالة لنشرها على بني قومه الصلاب

---

247 . مكارم الغمري، مؤثرات عربية و إسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة، الكويت، العدد 155 ، نوفمبر1991 .

248 . محمد السقاعيد، عظمة النبي في عيون المنصفين و الغربيين، ص40 .

العقول والأفئدة، لكن السماء التي اختارته بعناية كي يحمل الرسالة كانت تؤهله صغيراً فشب متأملاً محباً للطبيعة ميالا للعزلة لينفرد بنفسه."

ويؤكد روسو قائلاً" لو أن محمداً عاش مدة أطول مما عاش، لأصبح الإسلام ورسوله سادة العالم."

المستشرق الأمريكي" بروكلمان" :"لم تشبه شائبة من قريب أو من بعيد، فعندما كان صبياً وشاباً، عاش فوق مستوى الشبهات، التي كان يعيشها أقرانه، من بني جنسه وقومه بدليل أن شريفة مكة وهي السيدة" خديجة " استدعته راجية أن يراعي تجارتها ولفرط ثقتها فيه وأمانته في مالها ولثقته الكبيرة في نفسه طلبته زوجاً لها."

الزعيم الألماني" هتلر":"أعتقد أن الذي استطاع أن يتعامل مع اليهود، ويكسبهم ويشل حركتهم في نفس الوقت هو رسول الإسلام محمد الذي فهم ما تدور به عقولهم وقلوبهم، لذا كان محمداً حريصاً منهم حريصاً عليهم ليبلغ رسالته فاستقطبهم بطريقته التي لم ولن يصل إلى مرتبتها أحد، م لا يستحقون الحياة إلا أن محمداً كان واسع الصدر فالتعامل مع اليهود مشكلة غير عادية أيملك منطقا غير عادي، تأكدنا منه لتعامله معهم بالود الذي لم يألفوه وبالقوة التي شهدوها" رو"(أول رئيس وزراء للهند بعد استقلالها) :فاقت أخلاق نبي الإسلام كل الحدود "جواهرلال ونحن نعتبره قدوة لكل مصلح يود أن يسير بالعالم إلى سلام حقيقي.

البروفيسور يوشيودي كوزان (مدير مرصد طوكيو) :لا أجد صعوبة في قبول أن القرآن كلام الله، فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع ، الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من الله.

الدكتورة الألمانية سيجريد هونكه :كان رسول الإسلام يعرف أن المرأة ستجد طريقها بجوار الرجل ذات يوم .لذا آثر أن تكون المرأة متدينة . لها لباس معين، حتى تقي نفسها شر النظرات وشر كشف العورات.

ورجل بهذه العبقرية لا أستطيع أن أقول إلا أنه قدم للمجتمع أسمى آيات المثالية وأرفعها وكان جديرا أن تظل الإنسانية مدينة لهذا الرجل الذي غيَّر مجرى التاريخ برسالته العظيمة.

البريطانية" ليدي ايفيلي نكوبولد "[249] **:** مع أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان سيد الجزيرة العربية فإنه لم يفكر في الألقاب ، ولا راح يعمل لاستثمارها ، بل ظل على حاله مكتفياً بأنه رسول الله ، وأنه خادم المسلمين،

---

249 .نفس المرجع، نفس الصفحة.

ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده ، كريماً بارًّا كأنه الريح السارية ، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه ، وما لديه كان في أكثر الأحايين قليلاً لا يكاد يكفيه.

جون وليام درببر :ولد في مكة في بلاد العرب الرجل الذي مارس أعظم تأثير في حياة الجنس البشري ... محمد.

الشاعر الروسي بوشكين" :شُقَّ الصدر ، ونُزِعَ منه القلب الخافق ... غسلته الملائكة ، ثم أُثْبِتَ مكانه **!**قم أيها النبي وطف العالم ... وأشعل النور في قلوب الناس."

بوسورث سميث :لقد كان محمد قائدا سياسيا وزعيما دينيا في آن واحد .لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة .ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت . إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها.

مونتجومري وات :إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدا وقائدا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه .فافتراض أن محمدا مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها .بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد.

المستشرق الفرنسي إدوار مونته :رف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظاً على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم.

فيلسوف فرنسي فولتير : لقد قام الرسول بأعظم دور يمكن لإنسان أن يقوم به على الأرض ...إن أقل ما يقال عن محمد أنه قد جاد بكتاب وجاهد ، والإسلام لم يتغير قط.

العالم الفيزيائي ألبرت آينشتاين :أعتقد أن محمداً استطاع بعقلية واعية مدركة لما يقوم به اليهود أن يحقق هدفه في إبعادهم عن النَّيْل المباشر من الإسلام الذي مازال حتى الآن هو القوة التي خلقت ليحل بها السلام.

الفيلسوف الأمريكي ول ديورانت " :إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان من أعظم عظماء التاريخ ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ،

وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله ، وقلّ أن نجد إنسانا غيره حقق ماكان يحلم به."

م إدوارد جيبون :لقد استطاع المسلمون الصمود يدا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أ لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية .فقول " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " هي ببساطة شهادة الإسلام .ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله(عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله . ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور)منحصرة في نطاق العقل والدين ." منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له.

من خلال دراستنا لموضوع هذه المذكرة لاحظنا عدة ملاحظات نراها هامة وهي قسمان :قسم خاص بدراسة للإستشراق عامة، وقسم خاص بالترجمة الأدبية من العربية إلى اللغات الأجنبية،و بخاصة الفرنسية. في ما يخص القسم الخاص بالاستشراق فإننا توصلنا إلى النتائج التالية:

1-أولا :كانت دراسات الإستشراق للعالم العربي الإسلامي في أغلبها منصبة على الجانب العقدي الشرعي وكيف تعامل المستشرقون مع العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ثم كيفية قيام الدولة الإسلامية ومبادئها وحياة رجالاتها خاصة حياة النبي الكريم صلي الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ثم الدول الإسلامية المتعاقبة على مر العصور وحدث من خلال ذلك تصادم في الآراء بين المفكرين والعلماء والمؤرخين العرب ونظرائهم من المستشرقين، وهي صداميات منطقية بالنظر إلى ما تناثر في كتب الإستشراق من تحاليل وأحكام اتسمت في قسم منها بالجزافية والتسرع وعدم النضج.

2-ثانيا :دراسة التاريخ العلمي والفكري للإستشراق بصفة موسعة وشاملة مازال غائبا نوعا ما، فنحن قد نجد دراسات عن أهم رجالات الإستشراق ونتاجهم الفكري لكنها تبقى دراسات منصبة على جوانب محددة بعينها، وكذا متوجهة نحو شخصية المستشرق وتصنيفها إما بالاعتدال أو التعصب، وهي أمور وإن كان لها ما يفسرها إلا أنها تبقى نقائص مهمة في هذا المجال من الدراسات.

3-ثالثا :لابد من الإشارة إلى أن دراسة الإستشراق في العالم العربي الإسلامي على غرار الدراسات الأخرى سواء في العلوم التقنية أو الإنسانية مازالت تبحث لها عن إطار مؤسس، فالمستشرقون الأوربيون ينشطون في مجال مؤسس ضمن جامعات أو مؤسسات حرة كمراكز الدراسات المنتشرة في أنحاء أوروبا وأمريكا والمتخصصة في دراسات

الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مثلا، وهي مراكز وجامعات تضمن التمويل للباحثين وتضمن لهم الظروف الملائمة لعملهم.

1-رابعا:دراسة الأدب العربي القديم خاصة الموروث الشعري لم تكن من أولويات المستشرقين الأوائل، أولا لاهتمامهم بالجوانب العقدية والفكرية والفلسفية ثم التقنية آنذاك، وثانيا لصعوبة ترجمة الشعر العمودي خاصة، ولو بحثنا لوجدنا أن جل ما جذب اهتمامهم من أعمال كانت الأعمال المترجمة إلى العربية بدورها من ثقافات أخرى مثل كليلة ودمنة وحكايات ألف ليلة وليلة .بعد ذلك بدأت أجيال المستشرقين في العصور المتأخرة تهتم بالنتاج الأدبي العربي الإسلامي نظرا لما تضمنه من جلاء وبيان لملامح الشخصية المسلمة أولا والعربية بعد ذلك، وتركز ذلك وقي بعد ظهور الرواية كجنس أدبي مستقل أصبح عند المختصين يمثل ديوان العرب الجديد ولسان حالهم ومعتقداتهم وكتال حياتهم في كل جوانبها.

خامسا :كانت ترجمة هذا الأدب هي الباب ولازالت خاصة مع تطور فن الرواية سريعا خاصة في العقود الأخيرة، لكن الترجمة الأدبية لم تكن عملية بريئة ولازالت محل مد وجزر بين المستعربين المتخصصين من أبناء الإستشراق وأبناء هذه الأمة من أدباء ومفكرين وغيرهم، ولعلنا ندرك أن أهم ما يميز هذه الجدلية هو غياب التعاون بين الطرفين إلا في أحيان قليلة، إضافة إلى السمة المميزة وهي تبادل الاتهامات من كل طرف نحو الآخر، والانتقائية المنهجية التي تميز عمل المترجمين من المستشرقين الذين كما رأينا في أغلب الأحيان ينطلقون من إيديولوجيات ومبادئ هي التي تحكم عملية الترجمة الأدبية ومسارها وهو الأمر الذي لا ولن يخدم أبدا حركية أدبنا العربي وصورة حياتنا التي يعبر عنها في هذا العمل الأدبي أو ذاك.

سادسا: والفصل الثالث هو عبارة عن نموذج تطبيقي حول الكاتب الروسي ليوتولستوي ومدى تأثره وتعلقه بالإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال القرآن والأحديث النبوية الشريفة.

وتجدر الإشارة إلى أهم المصادر والمراجع التي تطرقنا من بينها كتاب "الشمس تسطع على الغرب للدكتور زغريد هونكه" وعباس محمود العقاد "أثر العرب في الحضارة الأوروبية".

الملاحق

نبذة عن حياة تولستوي:

يعتبر المؤلف ليو تولستوي من عمالقة الأدب الروسي، ولد 9 أيلول/ سبتمبر عام 1828، في ياسنايا بوليانا بمقاطعة تولا في روسيا. ترعرع في كنف عائلته الأرستقراطية، والده الكونت نيكولاي تولستوي، أما والدته الأميرة فولكونسكايا، التي تنحدر من سلالة روريك، أول حاكم في تاريخ روسيا.

شهدت طفولته الكثير من المآسي؛ فقد توفيت والدته عام 1840، ولم تمض سبع سنوات حتى توفي والده أيضاً، فعينت عمته وصية قانونية عليه وعلى أخوته الصغار. وبعد وفاة العمة، انتقل تولستوي وأخوته للعيش مع عمته الثانية في مدينة كازان[250].

تلقى تعليمه الابتدائي في المنزل على أيدي المعلمين الفرنسيين والألمان .وفي عام 1843 التحق ببرنامج اللغات الشرقية في جامعة كازان، إلا أنه فشل في إظهار تفوقه الدراسي، فاضطر للالتحاق ببرنامج القانون، ولكنه لم يمكث طويلاً عله ينال الشهادة.

أهم أعماله :

- استغل تولستوي بعض فترات السلام أثناء وجوده في الجيش، فعمل على تأليف قصة تروي سيرته الذاتية، أطلق عليها اسم ''الطفولة.''
- من المثير للدهشة تمكن تولستوي من مواصلة تأليف الكتب حتى أثناء خوضه غمار حرب القرم؛ فقد نجح في تأليف رواية ''الصبا'' التي تعد تتمة لرواية ''الطفولة. ''
- عبّر عن آرائه حيال التناقضات الصارخة خلال الحرب في سلسلة كتبه التي حملت اسم حكايات ''سيباستوبوب.''
- رفض الانضمام إلى أي مدرسة فكرية، وأعلن اعتناقه الفلسفة الفوضوية، وغادر بعدها إلى باريس سنة 1857، ولكنه لم يمكث هناك طويلاً ، فسرعان ما عاد إلى روسيا، لينجح في نشر روايته ''الشباب''، التي تعدّ الجزء الثالث من سيرته الذاتية.
- في عام 1862م أصدر تولستوي أول عدد من مجلته " "polyana yasnaya وتزوج في ذات العام من صوفيا أندرييفنا بيرز، ابنة أحد الأطباء.

---

[250]الموسوعة الحرة،محمد الشقا عبيد، مجلة الأولكة،

- كان ليو روائي ومصلح اجتماعي وداعية سلام ومفكر أخلاقي وعضو مؤثر في عائلة تولستوي. أشهر أعماله ''الحرب والسلام'' و ''أنا كارنينا'' وهما يتربعان على قمة الأدب الواقعي وصورة واقعية للحياة الروسية آنذاك.
- كفيلسوف أخلاقي اعتنق أفكار المقاومة السلمية التي تنبذ لعنف، وتبلور ذلك في كتابه ''مملكة الرب بداخلك'' هذا العمل أثّر على مشاهير القرن العشرين مثل ''المهاتما غاندي'' و ''مارتن لوثر كينج'' في جهادهما المتسم بسياسة المقاومة السلمية.

رواية " الحرب والسلام :"أمضى الجزء الأكبر من عقد الستينيات في تأليف هذه الرواية الرائعة؛ التي نُشر الجزء الأول منها في مجلة Russian Messenger الأدبية سنة 1865م. وبعد ثلاثة أعوام أصدر ثلاثة فصول أخرى، ليتبعها في الجزء السابق.

حظيت الرواية بإعجاب منقطع النظير لدى الجمهور وأوساط النقاد، فقد كانت أحداثها بمثابة صورة تاريخية عن روسيا والمجتمع الروسي خلال الحروب النابليونية، تناول فيها مراحل الحياة المختلفة، ووصف الحوادث السياسية والعسكرية التي حدثت في أوربا في الفترة الممتدة بين 1805و1820م.

رواية "آنا كارنينا :"بعد النجاح الساحق لرواية الحرب والسلام، عكف تولستوي على تأليف روايته الشهيرة، بالرغم من كون قصة الرواية خيالية، فإنها استمدت بعض أحداثها من حياته الشخصية، ولاسيما علاقته مع زوجته أثناء فترة الخطوبة، عالج فيها قضايا اجتماعية وأخلاقية وفلسفية بشكل مأساة غرامي[251]ة.

نشرت الرواية على دفعات بدءاً من عام 1873وحتى سنة 1877، وقد ساهمت العائدات التي حصل عليها في زيادة ثروته، على الرغم من النجاح الكبير لرواية ''أنا كارنينا ''عانى تولستوي من أزمة روحية بلغت حد الاكتئاب كان وقتها منهمكا في محاولات حثيثة للعثور على إجابات حول تساؤلاته عن معنى الحياة.

واظب تولستوي على كتابة المؤلفات الأدبية على مدار عقدي الثمانينات والتسعينيات من القرن التاسع عشر؛ فألف رواية '' وفاة إيفان إليتش'' في عام 1886، وبعدها كتب رواية '' الأب سيرغي'' سنة 1898، ورواية '' البعث'' 1899التي كانت آخر رواياته الطويلة، ورواية'' الحج مراد'' سنة 1904، ورواية ''الشيطان''، ورواية ''الميت الحي'' ومسرحية '' سلطان الظلام.''

وبالرغم من الثناء الذي نالته رواية البعث، فإنها لم تحظ بالنجاح الكبير لروايات تولستوي السابقة.

وفاة تولستوي:

---

[251]المرجع نفسه.

في 20نوفمبر عام 1910م، توفي في الثاني والثمانين من عمره، بعد معاناة من التهاب رئوي حاد. وقبل وفاته بتسع أيام ترك بيته في ياسنايا بوليانا سرًّا عند الفجر بصحبة سكرتيره الخاص، لينفصل عن حياته العائلية، ويرتاح من شجار زوجته الدائم.

كتب في ذلك: ‘‘قررت أن أترك الحياة الدنيوية، وأقضي أيامي الأخيرة في هدوء وعزلة.’’

I- القرآن الكريم

II-المصادر والمراجع:

1. إبراهيم السعافين، "ملامح التأثير الغربي في الأدب الحديث"، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1980.
2. ابن خلدون "المقدمة" الباب الطبعة دار النشر، ج1، 1/106.
3. ابن خلدون، العبرو ديوان المبتدأ والخبر 1/153.
4. ابن منظور، "لسان العرب"، دار الصدارة، بيروت، المجلد 10، ط1410هـ/1990م، باب الحروف الشرق.
5. أبو الحسني البدوي، "الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1986.
6. أحمد سمايلوفيتش، "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر".
7. البخاري، كتاب الأدب، باب مايجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه (5793) وأبو داود (5010) والترميذي (2844) وبان ملجة (3755).
8. بعد الكريم الهاشمي، رحلتي من الظلمات إلى النور (مناظرة بين الدكتور والشيخ) إسدار إسلام، ط1، 1978م.
9. تأثير الشرق العربي في فكر تولستوي.
10. جاك بيرك، إعادة القرآن الكريم، ترجمة وائل غالي، باريس، ط2، 1995.
11. جلال مظهر، "حضارة الإسلام وأثر ط في ترقي العالمي"، دار مصر للطباعة، مصر، 1984.
12. حلاق المحسن "العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور السطى" الأندلس الشام الصقلية، دار الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.
13. خلاق حسين، "العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية"، دار النهضة العربية.
14. دشدش عبد اللطيف، "الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين"، عصر الحقائق الثاني (21116-1151)، تاريخ سياسي وحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

15. الدكتور القاضي جاسم ابن محمد، "تاريخ الحضارة العربية الإسلامية الأندلس"، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2002.
16. رحيم كاظم محمد الهاشمي وعواطف محمد العربي، "الحضارة العربية الإسلامية".
17. زكريا هاشم زكريا، "فضل الحضارة الإسلامية على العالم"، دار النهضة، القاهرة.
18. الزمخشري (الكشاف) في تفسير القرآن الكريم 5/168-171.
19. زيغريد هونكه، "شمس تسطع على الغرب".
20. سعد عبد الفتاح عاشور، سعد زغلول عبد الحميد، أحمد مختار العبادي، الطبعة الثانية، منشورات دار السلاسل، كويت ، 1426هـ/1986م.
21. سعيد عبد الفتاح عشور، "حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى"، دار النهضة العربية، بيروت،
22. سعيل الإدريس، "المنحل: (قاموس فرنسي – عربي)"، دار الكتاب، ط2004.
23. الطيب ابن ابراهيم، "الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، ط1، 2004.
24. عباس محمود العقاد، "أثر العرب في الحضارة الإوروبية"، دار المعارف، مصر، الطبعة 8.
25. عبد الفتاح مصطفى غنيمة، "ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأثرها على الفكر الأوروبي، دار الفنون العلمية، الإسكندرية، ج2.
26. عبد المنعم ماجد، "تاريخ الحضارة.
27. عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين.
28. على عبد الله الدفاع، إسهامات الطاء العرب في الصيدلية، مؤسسة الرسالة، بيروت.
29. فراج غز الدين، "فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، مدينة مصر.
30. كارلوس آنيس، "الإسلام والأدب الروسي، الثلاثاء 294 أغسطس، 2017.
31. مجد الدين الفيروز آبادي، "قاموس المحيط"، دار الحياء التراث العربي، المؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الباب الشرق، ط1417هـ/1997م.
32. محمد أسد، "الطريق إلى الإسلام"، ط1.
33. المستدرك، "كتاب التفسير"، باب تفسير سورة (ن)(3845).
34. المنجد في اللغة العربية المعاصر، دار المشرق، ط2، 2003، باب الحرف (ش).
35. الموسوعة الحرة، المستشرقون لعبد الرحمان بدوي.
36. الموسوعة الحرة، محمد الشقا عبيد الأولكة.
37. الموسوعة العلمية (بهجة المعرفة)، المجموعة الثانية مسيرة الحضارة، ج1.
38. الميداني مجمع الأمثال 1/148: الأعلام 1/219.
39. نجم الدين غالب الكيب، "شخصيات من الشرف والغرب"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1969.

III– القاموس:

1. يوهان فوك، "تاريخ حركة الاستشراق"، دار المدار الإسلامي، ترجمة عمر لطفي، ط2، 2001.

Auzour, « Dictionnaire renay, Clopédique 2005.

2. Le Littre, « Dictionnaire de la lange française », Hachrete, 2000.
3. Le Robert, « Dictionnaire Historique de la langue française », Paris, Octobre,
4. livre, 1992.

IV– الموقع الإلكتروني:

1. مازن مطبقاني، "الموقع المركز المدينة المنورة للأبحاث والدراسات الاستشراقية www.madinacentre.com

الفهرس

مقدمة .....أ

مدخل: 01

الفصل الأول: تعريف الإستشراق دوافع ومدارسه

1-تعريف الاستشراق.....02

أ- لغتا.....02

ب- اصطلاحا.....04

2- دوافع الاستشراق 7

أ- دينية.....7

ب- علمية.....9

ج- استعمارية.....9

د- نفسية.....11

هـ- اقتصادية 11

3-مدارس الاستشراق وأهم المستشرقين.....13

أ- المدرسة الإيطالية.....13

أ- المدرسة الإنجليزية 14

ب- المدرسة الروسية.....16

ج- المدرسة الأمريكية 16

د- المدرسة الفرنسية.....18

هـ- أهم المستشرقين الفرنسيين 32

الفصل الثاني: ميادين التأثير الإسلامي على أوروبا

1-العلوم العقلية والنقلية.....42

أولا: العلوم العقلية.....42

-1- علم الطب والصيدلية 42

أ- الطب.....42
ب- علم الصيدلية.....44
2-العلوم الحساب والطبيعيات.....46
أ- الرياضيات.....46
ب- الكيمياء وعلم الطبيعيات (الفيزياء).....48
ج- كمياء.....48
د- علم الحيل.....51
-3- علم الجغرافيا والهيئة (الفلك).....51
أ- الجغرافيا.....51
ج- علم الهيئة (الفلك).....52
ثانيا: العلوم النقلية.....54
أ- الأدب والشعر.....54
ب- الفلسفة.....62

الفصل الثالث: ملف الشواهد (نموذج تطبيقي)

التنويه بالحضارة العربية.....66
صورة القرآن الكريم عند تولستوي:.....67
رسول الكريم في عيون تولستوي.....69
أثر الثقافة العربية في الثقافة الروسية.....73
1-الأدب و الفن.....73
2- في مجال القيم الإنسانية.....76
1- أقوال في نبي الإسلام محمد(صلى الله عليه وسلم).....77

2- اعترافات أهم المستشرقين.....81
خاتمة.....85
قائمة المصادر والمراجع.....87
الملاحق.....89